الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العربي التّبسي – تبسة

كلّية الآداب واللّغات

قسم اللّغة والأدب العربي

بلاغة التقديم والتأخير

سورة الرحمن -أنموذجا -

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر (ل.م.د) في الأدب العربي

تخصص: لسانيات عربية

اعداد الطالبتين:

- كوثر كبور
- هدى تفه

إشراف الأستاذ:

أ.د الطيب جبايلي

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
زرقي ابراهيم	أستاذ محاضر – أ–	جامعة العربي التبسي	رئيسا
الطيب جبايلي	أستاذ التعليم العالي	جامعة العربي التبسي	مشرفا ومقررا
لطفي حمدان	أستاذ محاضر – أ–	جامعة العربي التبسي	عضوا ممتحنا

السنة الجامعية: 2021/

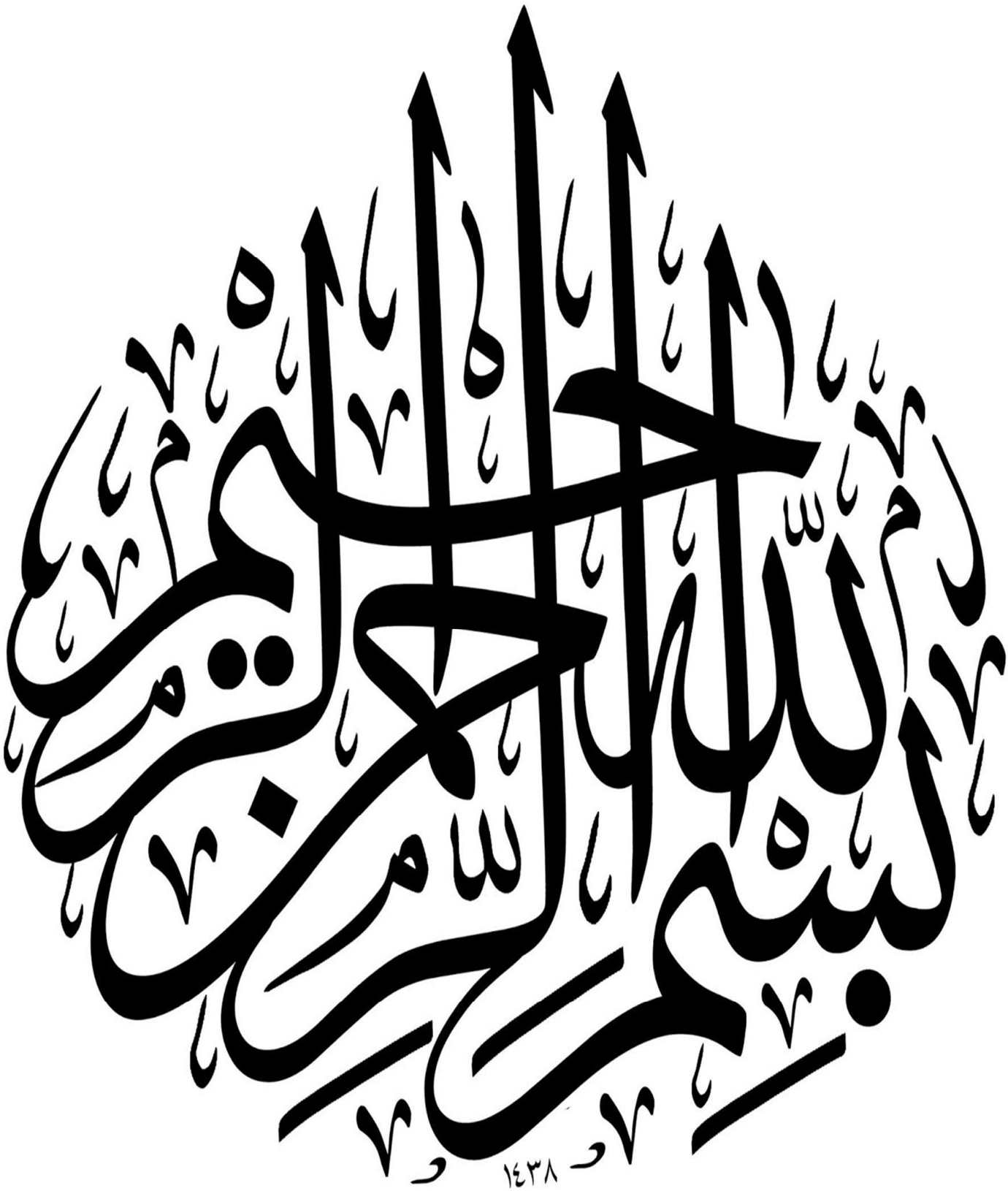
بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٣٨

شكر وعرفان

بعد الانتهاء من هذه الرسالة الجامعية يسعدنا ان نتوجه بالشكر الجزيل والخاص:

الى الاستاذ " **بن رابح سليمان** " المشرف والذي لم يدخر جهدا في ارشادنا وتوجيهنا، وتكبد عناء متابعة وتصحيح هذا العمل المتواضع

الي استاذة قسم التاريخ وبالاخص الدكتور فريد **نصر الله** واستاذ **جودي بخوش**

كما نعرب عن امتنانا وشكرنا لكل من اعاننا في انجاز هذا العمل من اساتذة، زملاء واصدقاء.

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة الاسلام، وأنزل القرآن بلسان عربي مبين، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيد البلغاء، وإمام الفصحاء سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

إن القرآن الكريم هو الكلام الرباني وهو كلام الله المعجز لخلقه، في أسلوبه ونظمه من جهة وفي روعته وبيانه وفصاحته من جهة أخرى، فمما لا شك فيه أن أهل العربية أجمعوا على أن القرآن الكريم معجز بذاته لفصاحة ألفاظه وروعة بيانه، وأسلوبه الفريد الذي لا يشابهه ولا يماثله فيه أسلوب آخر من نثر أو شعر.

يعد التقديم والتأخير مظهر من مظاهر الإعجاز وخاصية من خصائص اللغة العربية وأدق أبوابها البلاغية، وميزة من ميزاتها الفريدة، وسمة من سمات كلامها البليغ، فقد أولاه البلغاء والنحاة اهتمامهم ورعايتهم قديما وحديثا، ويراد به تخالف عناصر التركيب ترتيبها الأصلي، فيتقدم ما أصله أن يتأخر، ويتأخر ما أصله أن يتقدم، فيعطي للجملة معنى آخر ما كانت لتؤديه لو أنها بقيت على ترتيبها الأول، فهو تغيير في المواقع وتغيير في رتبة الألفاظ.

ومن هذا المنطلق ارتأينا أن نصب جهدنا في عملنا هذا على دراسة هذه الظاهرة (التقديم والتأخير) متخذين سورة الرحمن أنموذجا لبحثنا، وبناء على رغبتنا على الدراسة والتطبيق على هذه السورة المحببة إلى قلوبنا، فكان موضوعنا لهذه المذكرة: "بلاغة التقديم والتأخير– سورة الرحمن أنموذجا–"، ونظرا لقيمة الموضوع وأهميته جاءت الدراسة تحمل في طياتها بعض التساؤلات:

- ما مفهوم التقديم والتأخير؟
- ما هي أهم حالاته وأغراضه؟

- ما هي أسبابه وأنواعه؟
- ما صور التقديم والتأخير الواردة في السورة الكريمة؟

للإجابة عن هذه التساؤلات اخترنا سورة "الرحمن" للدراسة وفق المستوى البلاغي، وقد ارتأينا دراسة هذا الموضوع لعدة أسباب ذاتية وعلمية وشخصية تلبية لدوافع موضوعية، وهي الإحاطة بظاهرة التقديم والتأخير من جهة واكتشاف الأغراض البلاغية من وراء هذه الظاهرة من جهة ثانية، أما الدوافع الذاتية فهي إعجابنا الشديد وميلنا الكبير لفهم سورة الرحمن خاصة وأنها ملقبة بعروس القرآن وكذا من أبرز الأسباب الأهمية الكبيرة لهذا الموضوع ومساهمته في تعليم النحو خاصة وأن موضوع البحث لم يدرس بشكل موسع من قبل.

وخطة بحثنا في هذا الموضوع كانت قائمة على مقدمة وثلاثة فصول:

الفصل الأول: فقد كان موسوما بـ: "الانزياح" ،حيث تناولنا فيه: مفهوم الانزياح، مفهوم التقديم والتأخير، أسباب التقديم والتأخير وأنواعه.

الفصل الثاني: عنون بـ : "أغراض وجماليات التقديم و التأخير" ، و تطرقنا فيه كذلك إلى الأغراض البلاغية للتقديم والتأخير وجماليات هذا الأسلوب في القرآن الكريم ثم أهميته ودلالته.

الفصل التطبيقي: تطرقنا من خلاله إلى التعريف بسورة الرحمن ومناسبتها ودرسناها من ناحية كونها مكية أو مدنية، وسبب تسميتها وفضلها... ثم عرجنا كذلك إلى صور التقديم والتأخير في السورة الكريمة.

أما الخاتمة فكانت حوصلة لأهم نتائج هذا البحث المتوصل إليها من خلال دراستنا للموضوع.

وفيما يخص المنهج المتبع في هذه الدراسة فقد اعتمدنا على المنهج الوصفي القائم على الاستقراء والتحليل، ذلك أن المنهج الوصفي التحليلي يتماشى مع طبيعة موضوعنا الذي يبحث في ظاهرة التقديم والتأخير كما قد حاولنا الاستفادة من مجموعة مصادر ومراجع تخدم موضوعنا هذا على رأسها المصدر الأساسي المعتمد في الدراسة وهو القرآن الكريم، والعديد من المصادر والمراجع أغلبها في نسخها الالكترونية نذكر منها:

- أساس البلاغة للزمخشري.
- لسان العرب لابن منظور.
- تفسير الشعراوي لمحمد متولي الشعراوي.
- تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور.

ونظرا لأنه لا يخلو أي بحث علمي من صعوبات تعترضه، فقد واجهنا بعضها، أهمها: انتشار كوفيد 19 أو ما يعرف بمرض كورونا الذي كان عائقا لنا ويتمثل ذلك في صعوبة التنقل والذهاب للمكتبات بشكل طبيعي، وكذا غزارة الأفكار والمادة العلمية جعلتنا نتعب في فرزها وترتيبها وتصنيفها، لكن بحمد من الله استطعنا أن نبلغ ما نصبو إليه خاصة في جزئية تحديد الأغراض البلاغية، فقد اجتهدنا وثابرنا على أمل أن تكون الشدائد سلما يرتقي بها المرء معالي المجد،

أما عن المعنى الحقيقي للآيات فيبقى عند المولى سبحانه وتعالى وما أوتينا من العلم إلا قليلا.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نتقدم بشكر وحمد المولى عز وجل الذي وفقنا في اتمام هذا العمل ونسأله أن يتجاوز عن أخطائنا وتعاملنا مع كتابه المقدس – القرآن الكريم_.

كما نتقدم بجزيل الشكر للأستاذ "الطيب جبايلي" الذي أشرف على هذا العمل مقدما لنا نصائح وتوجيهات ساعدتنا في إتمام هذا البحث، جزاه الله عنا خير الجزاء.

كما نشكر كل من مد لنا يد العون في إنجاز هذا البحث من قريب أو بعيد، جزاهم الله من كل خير.

.

الفصل الأول: الانزياح

أولا: مفهوم الانزياح

ثانيا: مفهوم التقديم والتأخير

ثالثا: أسباب التقديم والتأخير

رابعا: أنواع التقديم والتأخير

يُعدّ الانزياح مفهوما من أهم المفاهيم التي تدور في فلك الدراسات اللغوية وذلك نظرا للّدور الفعال والأثر الذي خلّفه في مختلف الأعمال اللغوية ، فكان محل دراسة الكثير من المفكرين والّدارسين.

أولا: مفهوم الانزياح :

أ- لغة:

جاء في أساس البلاغة **للزمخشري** (ت538هـ-1143م) أّنه: « **نَزَحَ: نَزَحْتُ البئر وبئر نزوح ونَزَحَ قليلة الماء. وبلد نازح، وقد نَزَحَ نزوحًا وانتزَحَ انتزاحًا بعد وابل منازيح من بلاد بعيدة**»[1].

كما يُعرّفه **ابن منظور**(ت630هـ-1232م) في معجمه على أنه:«**زيحَ زاحَ الشيءُ زيحًا يزيحُ وزيوحًا وزيحانًا، وانزاحَ ذهب وتبعَد، وأَزَحْتُهُ وأَزاحهُ غيره**»[2].

وجاء في المعجم الوسيط بمعنى:« **نزوح فلان، غاب عن بِلادِه غيبةً بعيدة. أَنْزَحَ الشيءُ: أَبْعَدَهُ والبئر: نَزَحَها،انتزَحَ: ابتعد،المنزاح: الذي يكثر الاغتراب إلى بلاد بعيدة...المنزحة: ما ينزحُ به الماء كالدلو. النّازح: يقال بلٌد نازح وبئٌر نازح: قليلة الماء. النّزح: الماء الكدر، البئُر النَزح: التي لا ماء فيها، النزوح: البئُر القليلة الماء والكثير النّزح النّزيح البعيد**»[3].

نلاحظ من خلال ما جاء في هذه المعاجم اللغوية العربية أّنها تشترك في تعريفها للانزياح على أّنه خرق للكلام أي الابتعاد عن المألوف، وأنَّ جذره اللّغوي يحمل دلالة الابتعاد والّنفاذ والماء الكدر، ودلالة البعد هنا هي الابتعاد والانحراف عن المعنى الأصلي.

---

[1]- جار الله أبو القاسم أحمد الزمخشري، أساس البلاغةَ، تح: محمد باسل غيون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2001م، مج2، ص261.

[2]- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة والّنشر والتوزيع، بيروت، د.ط، 1997م، ص444، 445.

[3]- شعبان عبد العاطي عطية وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004م، ص913.

كنا قد ذكرنا تعريفا لغويًّا للانزياح من معجم الوسيط وهو معجم حديث فالمعاجم العربّية الحديثة أضافت دلالات جديدة للانزياح في المفهوم اللّغويّ، فنجد:« **نزح انزح إلى، نزح عن ينزح ويتّزح، نزحًا ونزوحًا فهو نازح، والمفعول منزوح، نزح البئر ونحوها: فرغها قل ماؤها أونفذ، نزحت الّدموع عن عيني، نزح الشّخص عن دياره: أبعده عنها، نزحهم قهرا، نزح الشخص عن أرضه بعد عنها السّكان النّازحون عن ديارهم، نزح إلى العاصمة: انتقل، سافر، نزح من الّريف إلى المدينة...**»[1].

كذلك نجد أنّ المعاجم الحديثة بدورها اشتركت في معاني هذا اللفظ في اللغة مع أمهات المعاجم القديمة، فكان الاتفاق بينهما على معنى البعد والّنفاذ، أي البئر التي نفذ ماؤها، وزادت عليها معاني جديدة كالانتقال والّسفر...

ب- الانزياح اصطلاحا:

ظهر هذا المصطلح عند العرب القدامى منهم والمحدثين، كما نجد أنّ له بذورًا في الّدراسات الغربّية، إلّا أنّ دراستنا في هذا البحث قد اقتصرت على دراسة ظاهرة التّقديم والّتأخير في سورة من القرآن الكريم باعتباره مظهرا من مظاهر الانزياح لذلك سنتطرق إلى المفهوم الاصطلاحّي عند العرب فقط، فقد« **تناول النّقد العربّي قضية الانزياح من قبل بأسلوب يضاهي أحيانا مستوى المدارس الأسلوبّية الغربّية الحديثة، وإن كان مصطلح الانزياح حديث النّشأة، إلّا أنّ الظّاهرة التي يدل عليها ليست جديدة، بل تعود جذورها إلى القدم، وإن كانت حاضرة بمسميات مختلفة فنجد مصطلحات شتى تصادفنا عند قراءتنا للتّراث الفكري الـ عربّي القديم منها: العدول، الالتفات، الضّرورة الشّعرّية، الشّجاعة العربّية...إلخ سواء أكان ذلك في النّقد العربّي أوالبلاغة العربّية القديمة، فلا نكاد نجد من بين النّحاة القدامى من أنْكر ظاهرة العدول**»[2].

---

[1]- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربّية المعاصر، عالم الكتب للّنشر والتّوزيع، ط1، 1429هـ، 2008م، ص2191، 2192.

[2]- أحمد محمد ويس، الانزياح وتعدد المصطلح، مجلة عالم الفكر، 03 جانفي- مارس، مج25، ع3، ص63.

فقد جاء مفهوم الانزياح عند **ابن طباطبا**(ت322هـ-934م)على أنّ:« **الشّعر كلام منظوم بائن عن المنثور الذي يستعمله النّاس في خطاباتهم بما يخص به النّظم الذي إذا انعدل عن جهته ماجته الأسماع**»[1].

فابن طباطبا هنا نجده قد ربط مفهوم الانزياح بالشّعر وأولى الاهتمام والأفضلية للشّعر على النّثر لأنّ الشّعر يؤثر في النّفس وهو بذلك انزياح عن الكلام المألوف.

أمّا **ابن جني**(ت392هـ،1002 م) فنجد أنّه عبّر عن مفهوم الانزياح -بالعدول- في قوله: «**إنّما يقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقة لمعاني ثلاث وهي الإشباع والتّوكيد والتّشبيه، فإنّ عدم هذه الأوصاف كانت**»[2].

فالانزياح بالنّسبة له يكون على مستوى القواعد النّحويّة وذلك بالخروج عن القاعدة والمألوف؛ فكانت الاستعارة والتّقديم والتّأخير وغيرها من الأساليب البلاغية التي تحقق معنى الانزياح بمعناه الحداثّي اللّغوي والتّركيبّي والدّلالّي

ورد كذلك مفهوم الانزياح، عند **عبد القاهر الجرجاني**(ت471هـ-1078م) في صدد حديثه عن الحقيقة وهي ما طابقت العقل والمنطق، أمّا المجاز عنده فهو:«**الخروج بالتّعبير المألوف إلى ما هو مختلف، وذلك الخروج يتم عبر إفساد قواعد التّعبير المتعارف عليها**"[3]، فالمعاني عنده تنقسم إلى "**قسم عقلّي يقوم أساسا على الحق والصّدق، وقسم تخييلي: لا يمكن أن يقال إنّه صدق وإنّ ما أثبته ثابت وما نفاه منفى**»[4].

---

[1]- محمد أحمد بن طباطبا العلوي، عيار الشّعر، تح: عباس عبد السّائر، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1982م، ص09.

[2]- أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تح: محمد علي النّجار، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، د.ط، د.س،ج2، ص442.

[3]- فتيحة كحلوش، بلاغة المكان قراءة في مكانية النّص الشّعريّ، دار الانتشار العربّي، بيروت، لبنان، د.ط، 2008م، ص52.

[4]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمد التّنجي، دار الكتاب العربّي، بيروت، لبنان، د.ط، 1999م، ص77.

كما نجده كذلك في معرض حديثه عن العملية الشّعريّة التي تقوم على النَّظم وهو الانسجام الذي يحدث بين الألفاظ ومعانيها في سياق معين على حسب تعريفه، وهو برأيه عملية ينسج من خلالها المبدع الأثر الجمالي الذي يميزه عن غيره من فئة المبدعين وذلك من خلال عملية الانزياحات التي تمس وتؤثر في النّفس البشريّة

فالجرجاني يرى أنّ«**هذه المعاني التي هي الاستعارة والكناية والتّمثيل وسائر ضروب المجاز من بعدها مقتضيات النّظم وعنها يحدث وبها يكون**»[1].

فهو بدوره لم يـُول أهمية للألفاظ على حساب المعاني، أوقلّل من شأن الألفاظ، بل انصبّ اهتمامه على قيمتها في السّياق الكلامي والانزياح الذي يحدث عند نظم الكلام.

فالجرجاني يكاد يتوافق مع اللغويين المحدثين في كثير من مقولاته وخاصة في الامكانات الاستبدالية والقدرة التّوزيعيّة للغة، وكذا في مقولاته عن انتهاك اللغة وانحرافها عن النّمط المألوف، وذلك بإخضاع المجاز لسيطرة النّحو وعلاقاته التّركيبيّة، فهو قد دعا بذلك إلى نقد يعمل داخل النّصوص ويكشف تراكيبها.

أمّا فيما يخص العرب المحدثين فنجد **عبد السلام المسدي** وهو من أوائل اللّسانيين الذين تطرقوا إلى مفهوم الانزياح، حيث درسه من ناحية ماهيته وتعدد المصطلح، **فـ« ذهب المسدي في دراسته لمصطلح الانزياح إلى نفس ما عرضت له معظم الدّراسات الأسلوبيّة واللّسانيّة الغربيّة... ويعتبره حدثا لغويا جديدا يتباعد بنظام اللّغة عن الاستعمال المألوف وينحرف بأسلوب الخطاب عن القواعد اللغوية، وهذا ما يشكل في الخطاب انزياحا»**[2].

ومنه فالمسدي هو أوّل من أحيا مصطلح العدول من التّراث العربّي القديم، ورأى أنه مرادف لمصطلح الانزياح عند الغرب، فقدم مصطلح الانزياح كترجمة لـلمصطلح الفرنسّي (écart) « **وهذا المسار الأصلّي الذي يقع عن الخروج إليه وينسب الانزياح هو في ذاته**

---

[1]– عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص40–41.

[2]– نور الّدين ا لسّد، الأسلوبيّة وتحليل الخطاب دراسة في الّنقد العربّي الحديث (تحليل الخطاب الشّعريّ والسّوديّ)، دار هومة، بوزريعة، الجزائر، د.ط، د.س، ج2، ص205.

متصور نسبّي تذبذب الفكر اللّسانّي في تحديده وبلورة مصطلحه فكل يسميه من ركن منظور خاص وقد اصطلحنا عليه فيما مضى من بحثنا بالاستعمال الدّفعّي للظّاهرة اللّسانّية مختارين في ذلك تسمية الشيء بوظيفة العملية وغايته الواعية»[1] .

مما سبق نجد أنّ قيمة الانزياح تكمن في مقارنة الحدث الأسلوبّي، فهو بمثابة واسطة بين اللغة والأسلوب، كما قد وضّح العلاقة التي تربط الانزياح باللغة والتي من خلالها يستمد دلالته نتيجة التّفاعل مع نظامها ومن ثم خرق قواعد النّظام وانتهاك أعراف المواضعة، وغيرها من التّجاوزات.

كما نجد **صلاح فضل** الذي عرّف الانزياح على أنّه:« **الانتقال المُفاجئ للمعنى، فقد اشتهرت في الدّراسات النّقديّة عبارات مؤدّاها أنّ وظيفة النّثر دلالّية ووظيفة الشّعر أدائّية، وهي صحيحة إلى حدّ كبير، فالنّثر ينقل أفكار أمّا الشّعر فيولّد عواطف وأحاسيس ومشاعر فعندما تقول عن القمر:"الكوكب الذي يدور حول الأرض" ويقول عنه الشّاعر"المنجل الذّهبّي" فكلانا يُشير إلى نفس الشّيء ولكن التّعبيرين مختلفين في الدّلالة عليه ويُثيران طرقا مختلفا في الوعي به، فلو فهمنا من كلمة معنى الشّيء نفسه، فإنّ العبارتين لهما إذا نفس المعنى(المعنى نفسه)، أمّا لو فهمنا عنه الكيفية فهو الشّيء لا يختلف معنى العبارتين وكان من حقنا أن نقول معنى نثرّي وآخر شعرّي»[2].**

اختار صلاح فضل في أغلب مؤلفاته مصطلح الانحراف الذي يظهر من خلال المعنى، فهو يرى أنّ هناك عبارة تحمل دلالة نثرّية يكون الغرض من انشائها توضيح فكرة ما، وهناك عبارة تحمل دلالة شعرّية تهدف إلى إحداث عنصر المفاجأة في وعي المتلقي، وذلك أنّ كون المستوى الشّكلّي العبارة فيه تظل مفارقة للمحتوى، فلا تتأثر الدّلالة وهي مادة المحتوى بتغير الشّكل.

---

[1]– عبد السّلام المسدي، الأسلوبّية والأسلوب، الدّار العربّية للكتاب، ط1، د.س، ص77.

[2]– يوسف أبو العدوس، الأسلوبّية الرؤية والتّطبيق، دار المسيرة للّشر والتّوزيع، عمان، الأردن، د.ط، د.س، ص180–181.

أمّا **منذر عياشي** يرى أنّ مفهوم الانزياح لا يتأتى إلّا من خلال توضيح العلاقة بين اللغة المعيار والأسلوب، حيث قال:« **ثمّة معيار يحدّده الاستعمال الفعلّي للغة، ذلك لأنّ اللّغة نظام، وأنّ تقيّد الأداء بهذا النّظام هو الذي يجعل النّظام معيارًا، ويُعطيه مصداقية الحُكم على صحة الإنتاج اللّغويّ وقبوله. أمّا الانزياح فيظهر إزاء هذا على نوعين: إما خروج على الاستعمال المألوف للغة، وإمّا خروج على النّظام اللّغويّ نفسه؛ أي خروج على جملة القواعد التي يصير بها الأداء إلى وجوده، وهو يبدو في كلا الحالتين، كما يمكن أن نلاحظ، وكأنّه كسر للمعيار، غير أنّه لا يتم إلّا بقصد من الكاتب أو المتكلم، وهذا ما يعطي لوقوعه قيمة لغويّة وجمالية ترقى به إلى رتبة الحدث الأسلوبّي»**[1].

أي أنّ رصد الظّواهر الصّوتيّة والمعجميّة مثلا في العمل اللّغويّ لا يعتبر من ميدان الدّرس الأسلوبّي إلّا إذا حملت هذه الظّواهر في الاستعمال الشّفهّي والكتابّي دلالات خاصة تخرج بها عن المعنى المألوف أو الاستعمال المعروف إلى شيء من الانحراف أو الانزياح بغرض خلق دلالات جديدة، أوإحداث متغيرات ضمن النّص وتخرج به عن نمطيته.

فمن خلال ما سبق نجد أنّ جلّ المعاجم اللّغوية قد اتفقت على أنّ الانزياح خروج عن المألوف وهو مشابه لدلالته اللّغويّة، وهو الخروج عن المعتاد والتّنحي عن السّائد والمتعارف عليه، فهو بذلك إضافة جمالية ينقل المبدع من خلالها تجربته الشّعوريّة للمتلقي ويعمل على التّأثير فيه فيُحقّق بدوره قيمة جمالية وتعبيريّة.

ثانيا: مفهوم التّقديم والتّأخير:

إنّ مبدأ الانزياح أو الانحراف كما سّماه ابن جني سابقا، هو بمثابة مخالفة للّنمط المعياري المتعارف عليه إلى أسلوب جديد غير مألوف، وذلك من خلال استغلال الأديب لإمكانات اللّغة وطاقاتها الكامنة بهدف إثارة المتلقي وشدّ انتباهه وايقاظ مخيلته وتحفيزه.

[1]– يوسف أبو العدوس، الأسلوبّية الرّؤية والتّطبيق، ص180.

فالانزياح اللّغوي بذلك يرتبط بالنّص، وينقسم بدوره إلى نوعين اثنين الأول وهو الانزياح الدّلالي(الاستبدالي) فنجد صلاح فضل يقول:« **الانحراف الاستبدالي يخرج على قواعد الاختبار للرموز اللّغويّة؛ كمثل وضع الفرد مكان الجمع، أو الصفة مكان الاسم، أو اللفظ الغريب بدل المألوف**»[1].

فهذا النّوع من الانزياح هو الأشهر والأكثر دلالة وتأثيرا في المتلقي.

ويعرف في البلاغة بالصّورة الشّعريّة أو البلاغيّة ومن أهم أشكاله: التّشبيه والاستعارة والمجاز، ولذلك يمكن تسميته بالانزياح التّصويري.

والثّاني هو الانزياح التّركيبيّ، فنجد صلاح فضل مثلا « **يرى أنّ هذا النّوع من الانزياح يتّصل "بالسّلسلة السّياقيّة الخطّيّة للإشارات اللّغويّة، عندما تخرج على قواعد النّظم والتّركيب؛ مثل الاختلاف في ترتيب الكلمات**»[2].

فهذا الانزياح يرتبط بالتّركيب والنّحو والمعجم وما يتّصل بهما، فإذا كانت اللغة تفرض نمطا تركيبيا معينا، فكل خروج عن هذا النّمط يُعدّ انزياحا تركيبيا، سواء كان الخروج يمس ترتيب السّلسلة الكلاميّة، أي التّقديم والتأخير مثلا أو كان يمس نظام اللّغة النّحويّ، وبذلك فالخروج على النّظام اللّغويّ العادي واختراق وانتهاك السّائد المألوف فيه يكون عبر الانزياحات التّركيبيّة والمتمثّلة في: الحذف، التّكرار، الالتفات، الاعتراض والتّقديم والتأخير" والذي هو أساس بحثنا هذا.

أ-التّقديم لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور(ت711هـ):«**يُقال: القدم والقدمة: السّابقة في الأمر، وتقدّم كقدم، وقدم كاستقدم، تقدم وروى عن أحمد بن يحيى: قدم صدق عند ربهم، فالقدم كل ما قدمت من خير**»[3].

---

[1]- صلاح فضل، علم الأسلوب ومبادئه وإجراءاته، دار الشّروق، القاهرة، د.ط، 1998م، ص212.

[2]- المرجع نفسه، ص211.

[3]- ابن منظور، لسان العرب، ط1، 2000م، ص47.

وورد في أساس البلاغة لـ الزّمخشري(ت538هـ):« **يُقال تقدمه، وتقدم عليه واستقدم وقدمته وأقدمته، فقدم بمعنى تقدم ومنه مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة والإقدام في الحرب**»[1].

كما جاء في معجم الوسيط:« **قَدَمَ: فلانُ قدمًا، تَقَدُّما وقَدَمًا: شَجُعَ فهو قدوم ومقدامُ والقومُ قدمًا وقدومًا، سبقهم فصار قُدَامَهم وفي التّنزيل العزيز قال تعالى:** ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ... ﴿٩٨﴾ ﴾ **(سورة هود/98)** »[2].

مما سبق نستخلص أنّ التّقديم لغة بمعنى التّقريب والتّفضيل وتصدير ما حقّه التّأخير وكذلك معناه السّابق والمتقدّم والأوّل، هذا في ما يخص تعريف التّقديم يظهر لنا جليا أنّ جلّ العرب القدماء قد اشتركوا في تعريفهم له.

ب- التأخير لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور(ت711هـ):« **أخر في أسماء الله تعالى "تأخّر والمؤخر"، فالآخر يؤخر الأشياء، فيضعها في موضعها وهو ضد التّقدم...وأخرته فتأخر، واستأخر وتأخر، والتأخير ضد التّقديم**»[3].

وجاء في أساس البلاغة للزمخشري(ت538هـ) قوله:« **أخر: جاؤوا عن آخرهم والنّهار يحر عن آخره فآخر والنّاس يرذلون عن أخر فأخر مثل أخرة الرّجل. ومضى قدما وتأخر أخرا. وجاؤوا في أخريات النّاس... وجدت أخيرا وبأخرة**»[4].

وورد في مادة(آخر) **للراغب الأصفهاني**(ت425هـ):« **آخر يقابل به الأول، وأخر يقابل به الواحد ويعتبر بالدّار الآخرة عن النّشأة الثانية، كما يعبر بالدار الدنيا عن النشأة الأولى...والتأخير مقابل للتقدم**»[5].

---

[1]- الزّمخشري، أساس البلاغة، المكتبة العصريّة، بيروت، 2005م، ص667.

[2]- إبراهيم مصطفى وآخرون، معجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، إسطنبول، د.ط، د.س، ج1، ص08.

[3]- ابن منظور، لسان العرب، مج 12، ص 11،12.

[4]- الزمخشري، أساس البلاغة، ص22.

[5]- الرّاغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تح: عدنان دوادي، دار القلم، دمشق، ط4، 1430هـ-2009م، ص68،69.

نستنتج من التّعريفات السّابقة أنّ كلمة "أخر" تدل على الموقع المؤخر أو المرتبة الأخيرة، والمقصود من التّأخر البطء والتّمهل والتّقديم والتّأخير لفظان متضادان، وبذلك يكون التّأخير ما حقه أصله التّقديم.

ج-التّقديم والتأّخير اصطلاحا:

1- عند القدامى:

من النّحويين القدماء نجد "**سيبويه**"(ت180هـ) فيكتابه، يعرف التّقديم والتّأخير وذلك في باب الفاعل الذي يتعدّى فعله إلى مفعول، فيقول:« **فإن قدَّمتَ المفعول أو أخَّرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى في الأوّل وذلك قولك: ضرب زيدًا عبدُ اللّه، لأنّك إنّما أردت به مؤخَّرا ما أردت به مُقدَّما، ولم تُرِد بأن تَشْغَلَ الفعل بأوّل منه وإنْ كان مؤخَّرا في اللّفظ، فمن ثم كان حد اللّفظ أن يكون فيه مقدَّما وهو عربيّ جيدُ كثير، كأنّهم إنّما يُقدِّمون الذي بيانه أهمُّ وهم بيانه أُعْنَى، وإن كان جميعًا يُهِمّانِهم ويَعْنِيانهم**»[1].

وأشار "**المبرد**"(ت335هـ) إلى عدة مسائل فيما يخص التّقديم والتّأخير" في كتابه "المقتضِبْ" منها: قوله:« **ضَرَبَ غلاَمه زيد، فالغلام في المعنى مؤخَّر والفاعل في الحقيقة قبل المفعول**»[2].

وقال أيضا:« **لو قلت: ضرب غلامه زيدًا كان محالا، لأنّ الغلام في موضعه، لا يجوز أن ينوى به غيرُ ذلك الموضع**»[3].

والمقصود بهذا أنّ الغلام كان لابد ان يقع مفعول به ويقع عليه فعل الفاعل لأنّه غلام زيد، فلا يجب أن يعلى عليه منزلة.

---

[1]- أبو بشير سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، االقاهرة، ط3، 1988م، ج1، ص34.

[2]- محمد بن يزيد المبرد، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، جمهورية مصر العربية، القاهرة، ط2، 1979م، ج4، ص102.

[3]- المرجع نفسه، ص نفسها.

مما سبق نستخلص أنّ "سيبويه" و"المبرد" يتفقان على تقديم المفعول عن الفاعل فيبقى اللفظ نفسَهُ إذا كان الفاعل قبل المفعول، وأنّ التّقديم والتّأخير يطرأ على الجملة العربيّة فيغير ترتيبها.

ومن العلماء البلاغيين القدامى الذين تطرقوا إلى ظاهرة التقديم والتّأخير"عبد القاهر الجرجاني"(ت474هـ) في كتابه "دلائل الإعجاز" بقوله:« **هو بابُ كثير الفوائد، جمُّ المحاسن، واسع التّصرف، بعيد الغاية، لا يزال يَفْتَرُّ لك عن بديعةٍ، ويفضي بك إلى لطيفة ولا تزال ترى شِعْرًا يروقك سَمْعُه، ويَلْطُف لديك موقعُهُ ثم تنظر فتجد سببَ أنْ راقك ولطُف عندك، أنْ قُدِّم فيه شيء، وحوّل اللّفظ عن مكانٍ إلى مكان»**[1].

ويعرّفه "**السّكاكي**"(ت626هـ) في كتابه "مفتاح العلوم" بقوله:« **هو تتبع خواص تركيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره»**[2].

نستنتج من خلال التّعريفين السّابقين أنّ اللّغويين ركزوا على الجانب التركيبي أكثر فيما يخص التّقديم والتّأخير، واهتموا بأهمية المعنى في الجانب التّركيبيّ مثل: " أكلت الطالبة السبورة " فالتركيب صحيح والمعنى خاطىء، وبالتالي فالتقديم والتأخير يراعي الدلالة الصحيحة ويؤكدها.

كما نجد أنّ البلاغيين قد أولولظاهرة التّقديم والتّأخير فوائد حيث اهتموا أكثر بالجانب البلاغيّ الذي تُحدثه ظاهرة التّقديم والتّأخير فهي تزيد الكلام حُسنا وبهاءً

2 ـ عند المحدثين:

لقد اهتم النّحاة المحدثون بمسألة التّقديم والتّأخير، وقد تفاوتت آراؤهم، واختلفت مواقفهم، فنجد "**إبراهيم أنيس**" تناول هذه الظّاهرة في كتابه "أسرار اللغة" وذلك أثناء حديثه عن مواضع المسند إليه في الجملة حيث يرى:« **أنّه لا يجب إتباع البلاغيين حين عرضوا أحوال المسند**

[1]– عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1978م، ص106.

[2]– يوسف بن أبي السكاكي، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 1983م، ص161.

إليه من التّقديم والتّأخير والأغراض من شواهد معينة كالتّمكن في ذهن السّامع، والتّعجيل بالمسرة أوالمساءة والاستلذاذ والتّعظيم والتّحقير، ومن الغريب أنهم يجعلون نفس هذه الأسباب ومعظمها، داعيا من دواعي تقديم المسند أيضا»[1].

وقد تطرق "**تمام حسان**" إلى مسألة التّقديم والتّأخير، حيث أنّه سار إلى اعتقاد عبد القاهر الجرجاني في التّرتيب على أنّه الرّتبة عند النّحاة، وأنّ التّقديم والتّأخير عند البلاغيين:« **وهو عندهم دراسة لأسلوب التّركيب لا للتركيب نفسه أي أنّه دراسة تتم في نطاقين أحدهما مجال حرية الرتبة حرية مطلقة والأخرى مجال الرتبة غير المحفوظة»**[2].

ومن الرّتب المحفوظة أيضا:« **تقدم حرف الجر على المجرور وحرف العطف على المعطوف عليه وأداة الاستثناء على المُستثنى وحرف القسم على المقسم منه، وواو المعية على المفعول معه والمضاف على المضاف إليه أو نائب الفاعل وفعل الشّرط على جوابه»**[3].

وهنا يقصد تمام حسان بالرتبة المحفوظة عدم مخالفة عناصر التّركيب لترتيبها الأصلي في السياق، فالتّقديم في الرتبة المحفوظة حكم تركيبيّ نحوي بحت لا مجال فيه لاختيار المتكلم، فهو إمّا جار على القاعدة بحفظها أو مخالف للقاعدة مخل بسلامة التركيب بإهماله لها، أي أنّه يجب مراعاة التّرتيب السّياقي في نظام اللغة وفي الاستعمال.

وأما الرّتب غير المحفوظة في النّحو فهي:« **رتبة المبتدأ والخبر ورتبة الفاعل والمفعول به ورتبة الضمير والمرجع ورتبة الفعل والتّمييز بعد نعم ورتبة الحال والفعل المتصرف ورتبة المفعول به والفعل»**[4].

---

[1]– ابراهيم أنيس، من أسرار العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 1966م، ص289.

[2]– تمام حسان، اللغة العربية مبناها ومعناها، دار الثقافة، المغرب، د.ط، 1994م، ص207.

[3]– المرجع نفسه، ص208.

[4]– المرجع نفسه، ص نفسها.

وهذا يعني أنّ في الرتبة غير المحفوظة يكون التّقديم فيها أمر اختياري يمكّنا من التّصرف في العبارة؛ لأنّه يصبح وسيلة أسلوبيّة تستجلب بها المعاني وتُقلب العبارة لتناسب مقتضى الحال، ولهذا نجد البحث البلاغي في علم المعاني يدور حول الرتبة غير المحفوظة.

كما ذهب "**عبد الرحمن حاج صالح**" في كتابه "البنى النّحوية" بأسلوبه الرياضي للتّقديم والتّأخير ضمن فصل "أبنية الكلام الأساسية" فيقول:« **ولقد رأينا المعمول الثّاني يمكن أن يتقدم على المعمول الأوّل وحتى على العامل** "ع"، **(المفعول به على الفاعل والفعل نفسه)...فتقديم أحدهما على الآخر يحصل إذا كان أشدّ أهمية وهو جانب خطابيّ»**[1].

وعرفنا أنّه لا يمكن بحال من الأحوال أن يقدم "م" على "ع" في جميع هذه الأبنية مع بقاء البنية على ما كانت عليه أو بخروجها عن كلام العرب(مثل امتناع تقدم اسم إنّ عليها) فإنّ الفاعل إذا قُدم على فعله يصير هذا الفاعل مبتدأ كما هو معروف...ومن ثّم الأهمية العظيمة التي يكتسبها مفهوم العامل والسّر في ذلك هو أنّ العامل يحتاج احتياجا مطلقا إلى أن يكون له معمول وهو المعمول الأول فلو تقدم عليه اختل الأمر بتعذر التّعرف عليه كمعمول لا يخلو منه عامله[2].

ويُشير إلى أنّه:« **يمكن أن يحصل هذا التّقديم للمفعول والخبر(م2) في جميع الأبنية المتفرعة من الابتداء في العربية إذا كان العامل متصرفا(ويجمد التّرتيب مع العامل الجامد)»**[3].

ومثال ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾،**(الفاتحة/04)**، فالعامل هنا هو(نعبد) والمعمول(إيّاك) وتقدم المعمول على العامل أفاد قصر العبادة على الله وحده ُ ، وكأنّ الآية تقول:إيّاك وحدك نعبدُ وإيّاك وحدك نستعينُ، فلو قال:نعبد إيّاك ما كان هذا الاختصاص موجودًا وما اختصَّتْ العبادة بالله وحده ُ .

---

[1]- عبد الرحمن حاج صالح، البنى الشّعريّة العربيّة، منشورات المجمع الجزائري، د.ط، 2015م، ص154.

[2]- المرجع نفسه ، ص154، بتصرف .

[3]- المرجع نفسه، ص155.

ويحصر أبنية الكلام الفعلّية من ناحية التّقديم والتّأخير الذي يحدث فيها إلى ثلاثة أقسام وهي:

« (ضرب زيدُ عمرًا)=(ع،م1،م2) و(ضرب زيدًا عمرُ)=(ع،م2،م1) و(عمرًا ضرب زيدُ)=(م2،ع،م1). فإن قدمنا زيدُ على ضرب صارت بنية أخرى وقد مّر بنا هذا، ويشير إلى أنّ لإنّ وأخواتها حكما خاصا فلا يمكن أن يتقدم خبرها على اسمها إلا إذا كان ظرفا أو جارا أو مجرورا»[1].

ومما سبق نستخلص أنّ جل المحدثين اتفقوا على أنّالتّقديم والتّأخير" نوع من أنواع البلاغة يغير بعناصر الجملة من فعل وفاعل ومفعول به ويتعّمد الكُتّاب استخدامه للفت الّنظر على جزء من الجملة بوضع هذا الجزء في المقدمة، كما أّنه ينتمي لعلم المعاني للبلاغة العربية، وله دور رئيسي في تعدد المعاني واختلافها وهو ما يثري اللغة العربية.

ثالثا: أسباب التّقديم والتأخير:

I. أسباب نحويّة:

إنّ مبحث التّقديم والتّأخير" له العديد من الأسباب،« **فقد قسم اللغويون هذا المبحث قسمين نص عليهما "ابن جني" في خصائصه؛ أحدهما: ما يقبله القياس كتقديم المفعول على الفاعل والفعل النّاصبة، والظّرف على الفعل والفاعل، والحال على صاحبها، أّما القسم الثاني فهو ما يسهله الاضطرار، وجوز من التّقديم تقديم الخبر على المبتدأ والمفعول له على الفعل، ومنع تقديم المفعول معه على الفعل، وتقديم الفاعل أو ما أقيم مقامه على الفعل وتقديم الصلة على الموصول، والصفة على الموصوف، والمبدل على المبدل منه، وعطف البيان والنّسق على المعطوف عليه»[2].**

1- الجملة الاسمية: (المسند والمسند إليه):

---

[1]- عبد الرحمن الحاج صالح، البنى الشعرية العربّية،، ص155.

[2]- ختار عطية، التّقديم والتّأخير ومباحث التّراكيب بين البلاغة والأسلوبّية، المكتبة العصرّية، بيروت، د.ط، 2003م، ص48.

نعلم أنّ الأصل في الجملة الاسميّة أن يتقدّم المبتدأ أو يتأخر الخبر ولكن هناك مواضع يلزم فيها تقديم المبتدأ على الخبر أو تقديم الخبر على المبتدأ وجوبا وجوازا:

أ-تقديم المبتدأ عن الخبر:

- **وجوبا:**

- « إذا كان المبتدأ من أسماء الصّدارة أي واجب التّقديم في صدر الجملة وهي أسماء الشّرط وما حصل عليها وأسماء الاستفهام و"ما" التّعجبيّة و "كم" الخبرية، ومصحوب "لام" الابتداء»[1].

نحو: من مسافر، فإنّ (من) قد وقعت مبتدأ وهو اسم استفهام لذلك وجب تقدمها عن الخبر، ونحو: لَمحمد ناجح، فإنّ "محمد" قد وقع مبتدأ، وقد اتصل بأداة لها حق التّصدر وهي "لام" الابتداء، ومثل:

من أَكْرم عليًّا ⟵ ما التعجبية

كم كتابٌ أعجبني ⟵ كم الخبرية

-« **<u>إذا كان المبتدأ محصورا في الخبر</u>** : نحو قوله تعالى: ﴿ إنما أنت نذير ﴾ (هود/12)، فقد حصر المخاطب -وهو الرسول صلى الله عليه وسلم- في كونه نذيرا ولو تقدم الخبر لانعكس المعنى ونحو قوله سبحانه: ﴿ وما محمد إلا رسول ﴾ (آل عمران/144)، فقد حصر صلوات الله عليه في الرسالة ولو تقدم الخبر لانقلب المعنى المقصود، ووجوب تقدم المبتدأ في هذا الموضع إذا كانت أداة الحصر إنّما محور اتفاق بين النّحويين أمّا إذا كانت أداة الحصر (ما) و(إلّا) فوجب التّقدم»[2].

-**<u>إذا كان المبتدأ والخبر متساويين في التّعريف والتّنكير</u>**: بحيث يصلح كل منهما أن يكون مبتدأ، نحو: زيد صديق(أكبر منك سنًّا أكثر منك تجربة)/ (أكثر منك تجربة أكبر منك سنًّا). ونحو: أخي شريكي -أستاذي رائدي في العلم.

---

[1]- سعيد الأفغاني، الموجز في قواعد اللغة العربية، دار الفكر، القاهرة، د.ط، د.س، ص200.

[2]- علي أبو المكارم، الجملة الاسمية، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 2007م، ص52،53.

فالقرينة هنا هي التزام التّرتيب في الجملة للمحافظة على سلامة التّركيب وايصال المعنى المقصود بطريقة سليمة للمتلقي، وبهذا فإنّ الرتبة هي الوسيلة الوحيدة التي نحدد من خلالها أركان الجملة وهذا الترتيب يكون مع مراعاة المعنى بحيث يصلح وضع أحدهما (المبتدأ أو الخبر) مكان الآخر، ولا قرينة يعرف بها المبتدأ من الخبر فنلتجئ إلى الرتبة.

- « **إذا كان الخبر جملة فعلية، فاعلها ضمير مستتر يعود على المبتدأ** :نحو: الحق يعلو، القاضي عدل في حكمه»[1].

ونحو: محمد قام، أخوك مسافر.

وهذا التّركيب اللغوي هو النّمط الشّائع من التّراكيب في اللغة، وهذا الشيوع لهذا النوع من الالتزام بالأصل أي تقدم المبتدأ على الخبر الذي جاء جملة فعلية إنّما هو مراعاة للقاعدة النّحوية، ويتّضح ذلك في قول الشّاعر:

فَتْحُ الفُتُوحِ أَتَاكَ فِي حُلُلِ الرِّضَا * بِعَجَائِبِ الأَزْمانِ وَالأَعْصَارِ**

مبتدأ مقدم خبر

فَتْحُ الفُتُوحِ جَنَيْتَ مِنْ أَفْنَانِهِ * مَا شِئْتَ مِنْ نَصْرٍ وَمِنْ أَنْصَارٍ**[2]

مبتدأ مقدم خبر

هنا تقدم المبتدأ في البيت الأوّل "فتح الفتح" على خبره "أتاك" كما تقدم المبتدأ أيضا "فتح الفتوح" في البيت الثاني على خبره "جنيت من أفنانه" ذلك بغية ابراز أهمية وعظمة الفتح الذي قام به السّلطان أبي عباس ابن السلطان أبي سالم المريني في فتح المغرب آنذاك.

[1]– عاطف فضل، مقدمة في اللسانيات، دار الميسرة، عمان، ط1، 2011م، ص275.

[2]– ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، تح: محمد توفيق النيفر، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1997م، ص404.

- «**أن تدخل "لام الابتداء" على المبتدأ:**مثل قوله تعالى:﴿ ولعبد مؤمن خير من مشرك﴾» (البقرة/221)»[1].

هذه النّقطة سبق وأشرنا اليها في البداية، فالمبتدأ تتوجب صدارته إذا كان اسما مقترنا بلام الابتداء، نحو: لقبيح في النّاس قطيعة الأرحام.

- «**أن يكون ضمير شأن:** نحو: هي الأخلاق تنبت كالنبات»[2].

فإذا كان المبتدأ ضمير شأن كان واجبا تقديمه على الخبر، كقول الشاعر:

أنْتَ الصَّباح أنْتِ كُلَّ دُجْنَةٍ * والصُّبْحُ لَا يَخْفَى ولا يَتَسَتَّرُ**[3]

فهنا نجد أنّ ضمير الشّأن "أنت" وهو المبتدأ على الخبر"الصّباح" للعناية والاهتمام بتشبيه الملك الغني بالله بأنّه كالصّباح الذي أنار كل الظّلام.

- **إذا كان المبتدأ مفصولا عن الخبر بضمير الفصل:** نحو قوله تعالى:أ﴿ ولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾ (البقرة/5)

فضمير الفصل هنا يفيد الاختصاص، وقد كثر هذا الضّمير في القرآن الكريم، وأكثر ما ورد على أنّه حرف لا محل له من الإعراب، وتسميته بهذا الاسم (ضميرًا) هو مجاز، وذلك لمشابهته صورته، واعتبره أغلب النّحويين حرفا لأنّه يعني إفادة المعنى في غيره.

- **إذا كان المبتدأ دالا على الدّعاء:** نحو: نصر ترفرف أعلامه فوق ربوعكم وويل تحرق ناره قلوب أعدائكم، وإذا كان الخبر متعددا، نحو: الرمان حلو حامض، وسعاد طالبة موظفة.
- «**عند خشية التباس المبتدأ بالتأكيد:** نحو: أنا قمت وأنت تقوم»[4].

---

[1]– أحمد مختار عمر وآخرون، التّدريبات اللغوية والقواعد النّحويّة، جامعة الكويت، الكويت، ط2، 1999م، ص140.

[2]– زهير بن أبي سلمى، ديوان زهير بن أبي سلمى، دار صادر، بيروت، د.ط، 1964م، ص87.

[3]– ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص44.

[4]– علي أبو المكارم، الجملة الاسمية، ص55.

ومما سبق نستخلص أنّ النّحاة قد حدّدوا حالات عدّة تتوجب فيها صدارة المبتدأ عن الخبر، أي تأخير الخبر وذلك طبقا لضوابط تحكم هذا التقدم الواجب إما ضوابط لفظية كالصدارة وغيرها مما ذكرناه، وإمّا لضوابط معنوية تختصّ بالرتبة والأغراض الدّلالية وغيرها من الضوابط.

ب- تقديم الخبر عن المبتدأ:

- **وجوبا:** وجب تقديم الخبر وتأخير المبتدأ في الحالات الآتية:

- «**أن يكون الخبر مما له الصدارة في الكلام أو مضافا إلى ما له صدر الكلام:** نحو: أين أنت؟»[1].

وكأن يقع اسم استفهام، ويتضح ذلك في قول الجرجاني:« **الاستفهام له صدر الكلام فلذلك تقدم الخبر عن المبتدأ البتة**»[2].

فالجرجاني هنا يرى أنّ ما كان الاستفهام مشتملا عليه لا يجوز أن يقع قبله، فمثلا لا نقول: محمد أين؟ وجاء من؟، كما نجد ذلك في قول الله عز وجل: ﴿أَيْنَ شُرَكَاءِي﴾ (النحل/27) فالشاهد هنا(أين) قد وردت خبرا مقدما وجوبا، لأنّ اسم الاستفهام هو من له الصّدارة في الكلام وقد وضحنا ذلك سابقا.

أشرنا إلى تقديم الخبر عندما يكون مضافا إلى كم الخبرية ومثال ذلك:

كـــــــــــم	دِرْهـــــــمٍ	مَالُـــــكَ؟
خبر مقدم	مضاف إليه	مبتدأ مؤخر

فـ "كم" هنا خبرية وهي خبر مقدم، وهو مضاف، ودرهم مضاف إليه، أو مجرور بمن المقدرة، ومالك: مبتدأ مؤخر.

ومما سبق نستنتج أنّ الخبر يتقدم وجوبا لأنّ أسماء الاستفهام لها حق الصّدارة في الجملة.

---

[1]- عبد الهادي الفضلي، مختصر النّحو، دار الشّروق، جدة، ط7، 1980م، ص73.

[2]- عبد القاهر الجرجاني، المقتصد في شرح الايضاح، تح: كاظم بحر المرجان، دار الرشيد للنّشر، د.ط، 1982م، ج1، ص224.

- **إذا كان الخبر محصورا في المبتدأ:**« وقد وجب تأخير الخبر إذا كان محصورا»[1]، وذلك طلبا وتحقيقا للمعنى المراد، فقد اهتم النحاة بالمعنى ولم يجعلوا وجوب التّقديم مقصورا على موضوع الاعراب.

نحو: ما مجاهد إلّا خالد، فقد حصر الجهاد في خالد.

ونحو: إنّما القائم زيد، يختلف عن قولنا: إنّما زيد قائم، ففي الحالة الأولى قصرنا القيام على "زَيْد"، فليس من قائم غيره، أما في الحالة الثانية فقد قصرنا "زيد" على القيام، فهو قائم لا غير.

ومنه فالتّركيب البنيوي لكلا الجملتين صحيح، إلّا أنّه لا يتحقق المعنى المراد ايصاله للمتلقي إلّا بإحداهما وجوبا.

- **أن يكون المبتدأ مشتملا على ضمير يعود على جزء من الخبر:** ونجد ذلك في قول السيوطي:« **إنّ الخبر يتقدم وجوبا على المبتدأ إذا كان مسندا مشتملا على ضمير ملابسة نحو: في الدار صاحبها، إذ إنّ تأخير الخبر في المثال السّابق يعني أن يعود الضمير على متأخر رتبة ولفظا وهذا لا يجوز**»[2].

مثال ذلك: للدولة رئيسها، فلفظة "رئيسها" اشتملت على ضمير عاد على الخبر وهو "للدولة"، ولحفظ رتبة الخبر اتصل بالمبتدأ ضمير فضمن له وظيفته التركيبية في الجملة، والضمير هنا أفاد الربط بين مكوني الجملة، فلو أنّ الضّمير عاد على متأخر لفظا ورتبة لفسد تركيب الجملة وفسد المعنى لغويا ودلاليا.

---

[1]- علي بن محمد الأشموني، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1955م، ج1، ص99.

[2]- جلال الدين السيوطي، همع الهوامع، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م، ج2، ص36.

ونحو: في الكلية طلابها، فضمير الهاء في "طلابها" يعود على جزء من الخبر وهو "الكلية"، فلا يصح لنا أن نقول: طلابها في الكلية، حتى لا يعود الضمير على متأخر لفظا ورتبة، وهذا لا يجوز بحسب رأي السيوطي.

- **<u>أن يكون المبتدأ نكرة ليس لها مسوّغ في الابتداء إلّا تقديم الخبر:</u>** والخبر ظرف أو جار ومجرور، فيقدم الخبر بذلك وجوبا « خوف التباس الخبر بالصّفة وذلك إذا كان المبتدأ نكرة غير موصوفة والخبر ظرفا أو جارا ومجرورا، نحو: في الّدار رجل، وعندك كتاب»[1].

فتقديم الخبر هنا واجب ولا يصح فيه التأخير على الّرغم من أنّ تقديم الخبر هنا لا يحقق زيادة وتقوية في المعنى من اهتمام أو تخصيص، لأّنه واجب على المتكلّم ولا خيار له فيه فاللغة هي التي فرضت هذا التّقديم.

- **جوازا :**

-هناك مواضع يجوز فيها للخبر أن يتقدم، كما نعلم كذلك أنّ« **الأصل في الخبر أن يؤخر عن المبتدأ، لأنّه إنّما يؤتى به لبيان حال المبتدأ أوالدال على حال الذّات متأخر عنها طبعا، وخلاف الأصل أن يتقدم الخبر على المبتدأ، نحو(في الدار زيد) فزيد مبتدأ وفي الّدار جار ومجرور خبر مقدم، إنّما قدم على خلاف الأصل لغرض التّخصيص، لأنّ غرض المتكل م الإخبار عنه بانّه ليس في الّدار غيره، فلو قال: زيد في الّدار لما أفاد أنّه ليس في الّدار غيره»**[2].

فمعنى ذلك أنّ تقديم الخبر يزيل اللبس والغموض نحو قوله تعالى:﴿ وابتغوا من عند الله والله عنده حسن الثواب ﴾، (آل عمران/195)، فجملة(عنده حسن الثواب) خبر عن المبتدأ –لفظ الجلالة الله– وقد دلّ هنا تقديم الخبر فيها على أنّ الخبر عنه تعالى سيكون جملة بدليل إضافته إلى الضمير العائد عليه ذلك أ نّ عناصر الكلام تفتقر إلى ما يتّممها من لفظ ومعنى، بخلاف ما

[1]– عبد الهادي الفضلي، مختصر الّنحو، ص72.

[2]– عبد الله يحيى الشّعبّي، شرح شواهد الكواكب الّدرّية، دار الكتب العلمّية، بيروت، لبنان، د.ط، د.س، ج1، ص191.

لو قيل: (والله حسن الثواب عنده)، فإنّه قديُوهم أولا أن يكون(حسن الثواب) خبرا عن لفظ الجلالة لتتابعهما من جهة، ومن جهة أخرى صحة الإخبار بالمصدر عن الذات.

كذلك في حال كون المبتدأ معرفة جاز تقديم الخبر وتأخيره« **وإنّه ممّا لا شكّ فيه؛ أن يكون لتغاير المبنى أثر في اختلاف المعنى، فلقد ذكر النّحاة والبلاغيون أنّ هذا النّمط من التّقديم يفيد الاختصاص»**[1].

مثال ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾، (سبأ/1)

فلما كان "الحمد" في أول الآية يشمل الحمد في الدنيا والآخرة ورد الخبر مؤخرا، ذلك أنّ "الحمد" يكون لله وغيره، فلا تخصيص في ذلك، ولما كان الحمد في آخر الآية مقيدا بالآخرة، ورد التعبير بصيغة تخصيص الحمد لله وحده لا شريك له.

ج-جواز التّقديم والتأخير لكل من المبتدأ والخبر:

الأصل في المبتدأ أن يتقدم على الخبر، ومع هذا فقد أجاز النّحويون في غير المواضع السّابقة التي وجب فيها التّرتيب أن يتقدم المبتدأ عن الخبر، وأن يتأخر عنه، مع أنّ تقدم المبتدأ هو الأصل فلا يجوز العدول عن هذا الأصل والخروج عنه إلّا لأسباب بلاغية والمعنى المستفاد في حالة تقدم الخبر يختلف عن المعنى الحاصل في حالة تأخره، وقد قام البلاغيون بدراسة أثر التّقديم والتّأخير في المعاني، ولعل من أهم الفروق التي ذكرها عبد القاهر الجرجاني تتمثل في أن تقديم المبتدأ يفيد نوعان من تأكيد الإسناد إليه، أو يدل على معنى الحصر فيه أما تقديم الخبر ففضلا عن خُلوه من هذا التأكيد والحصر فإنّه يشير إلى أهمية المسند والتّركيز عليه[2]

---

[1]- ابن الأثير، المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر، تح: محمد محيي الّدين عبد الحميد، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، د.ط، 1939م، ج2، ص38.

[2]- يُنظر، علي أبو المكارم، الجملة الاسمية، ص58.

وممّا سبق نستخلص أنّ التّقديم والتّأخير جائز، نتيجة تعلقهما بأغراض بلاغية فهذه الميزة ركيزة أساسية في بناء الجملة العربية.

2- **الجملة الفعلية:**

إنّ الجملة الفعلية في الأصل تشتمل على الفعل والفاعل إذا كان هذا الفعل لازما، أمّا إذا كان الفعل متعديا فيستوجب أن يكون هناك مفعول به على نحو التّرتيب السّابق(فعل، فاعل، ومفعول به)، وبما أنّنا ندرس في بحثنا هذا ميزة التّقديم والتأخير فالأجدر بنا أن نتطرق إلى حالات واستثناءات يتقدم فيها المفعول به على الفعل والفاعل وجوبا وجوازا، وفيما يلي عرض لهذه المواضع:

أ-**تقديم الفعل عن الفاعل وجوبا:**

وهذا هو الأصل المتعارف عليه فقد« **ذهب جمهور النّحاة إلى أنّ الفعل يتقدم عن فاعله، وهو التّرتيب الطّبيعّي في الجملة الفعلّية، مما يستدعي بالضّرورة تأخر الفاعل، ولا يجوز تقديم الفاعل عن فعله، وإن حدث وتقدم الفاعل عن الفعل وجب تقدير الفاعل ضميرا مستترا في الفعل أو ما يشبهه، واعتبار الاسم المتقدم، إمّا مبتدأ كما في نحو: محمد نجح، وإمّا فاعلا محذوفا للفعل»**[1].

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره﴾، (التوبة/06).

كما نجد نحاة الكوفة كذلك يتفقون على جواز تقديم الفاعل على الفعل.

ب- **تقديم الفاعل عن المفعول به وجوبا:**

فالأصل في الفاعل أن يتقدم عن المفعول به، وهذا يعني أنّ هناك حالات يتقدم فيها الفاعل عن المفعول به وجوبا، ونوجز ذلك في النّقاط الآتية:

[1]- علي أبو المكارم، الجملة الفعلية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2007م، ص91.

- « أن يقع المفعول محصورا في الفعل بـ"إنّما" باتفاق النّحويين، لأنّه لو قدم المفعول على الفاعل لانقلب المعنى المراد، كما أ نّ الحصر بالنّفي والاستثناء- أي بـ"ما" و "إلّا" – شبيه بالحصر- بـ "إنّما" عند فريق من النّحاة من بينهم "أبو موسى الجزولي"»[1].

نحو: إنّما شرب محمد لبنًا، ما كتب عمر إلّا صفحتين، ما ضرب زيد إلّا عمر.

- «إذا كان كلّ من الفاعل والمفعول به ضميرا متصلا، نحو: أكرمتك، استقبلتك، وذلك لأنّ تأخّر الفاعل يؤدي إلى انفصال الضّمير مع إمكان ا تصاله وذلك غير جائز عند النّحاة»[2]، نحو: أكرمك زيد، فالمفعول به هنا اسم ظاهر، أمّا "أكرمتك" فهو ضمير متصل.

- إذا كان الفاعل ضميرا متصلا أو كان مستترا والمفعول به اسما ظاهرا، نحو: آزرت المريض، شاهدت المباراة.

ج- تقديم المفعول به:

إنّ الجملة العربية من ناحية تركيبها تتكون من فعل وفاعل ومفعول به على التّرتيب، ومع هذا نجد في مواضع أنّ المفعول به يكون مقدّما على الفاعل إمّا وجوبًا أو جوازًا.

ج1- تقديم المفعول به عن الفاعل وجوبا:

ويكون في ثلاث مواضع هي:[3]

- أن يكون الفاعل مشتملا على ضمير يعود على ذلك المفعول به، نحو: صان الثوبَ لابِسُه، قرأ الكتابَصاحبُ ه... ففي الفاعل (وهو لابس- صاحب) ضمير يعود على المفعول به السابق، فلو تأخر المفعول به لعاد ذلك الضمير على المتأخر لفظا ورتبة.

- أن يكون الفاعل قد وقع عليه الحصر (بأداة يغلب أن تكون "إلّا" المسبوقة بالنّفي، و"إنّما")، نحو: لا ينفَع المرء إلّا العمل الحميد-إنّما ينفع المرء العمل الحميد.

- إذا كان المفعول ضميرا متصلا، والفاعل اسما ظاهرًا مثل: كافأني والدي.

---

[1]- علي أبو المكارم، الجملة الفعلية، ص93.

[2]- المرجع نفسه، ص94.

[3]- عباس حسن، النّحو الوافي، دار العلوم، القاهرة، ط3، 1974م، ج2، ص87، 88.

ج2- تقديم المفعول به عن الفاعل جوازا:

هناك قوم منعوا تقديم المفعول به على الفاعل إذا اتصل المفعول به بضمير يعود على ما اتصل بالفاعل، كما أجاز آخرون ذلك بالمقابل، وهذا يعني أنّ المفعول به يتقدّم على الفاعل جوازًا إن خلت البنية من مواضع الوجوب المذكورة سابقا،« **ولا شكّ في أنّ لذلك أثرا في المعنى، فلقد استقرّ في أذهاننا أنّ التّغاير بين بنية وأخرى لا يكون إلا لغرض مقصود ومعنى مراد**»[1].

ومن بين هذه الأغراض عظمة الاهتمام به، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وأقيموا الصلوة وءاتوا الزكوة واركعوا مع الركعين﴾، (البقرة/42) ، فبدأ بالصلاة لأنّها أهم من الزكاة.

«وقد يكون غرض التّقديم والتأخير" هو تحقيق التناسق اللّفظي والمعنويّ بين الرّتب النّحويّة بوجه عام وبيان ذلك ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ولو يرى الذين كفروا الملئكة يضربون وجوههم وأدبرهم﴾، (الأنفال/51)، فتقديم المفعول به وتأخير الفاعل هنا منح الرتب النحوية في سياقها تتابعا متسلسلا، لا يفصل بين تابعها ومتبوعها فاصل؛ ذلك أن جملة (يضربون) في موضع الحال، وصاحبها هو(الملائكة)، فقصد تأخير الفاعل لتتابعهما...»[2].

وهذا يعني أنّ تحقيق التّناسق اللّفظي والمعنوي بين الرتب النحوية هو غرض من أغراض التّقديم والتأخير بهدف البيان والتّوضيح.

ج3- تقديم المفعول به عن الفعل وجوبا:

هناك عدة حالات يتقدم فيها المفعول به على الفعل وجوبا ندرجها فيما يلي:

- «أن يكون المفعول به مما له الصّدارة في الكلام، كأن يكون اسم استفهام نحو: (من قابلت) أو اسم شرط نحو: أيُّ نبيلٍ تُكرِم أَكْرِم، أو أن يكون اسما مضافا لاسم له الصّدارة نحو قوله تعالى:﴿ فأى ءايت الله تنكرون﴾ ، (غافر/80) »[3].

---

[1]- عبد الله بن عيسى، التّقديم والتأخير وأثره في التّركيب، ص49.

[2]- المرجع نفسه، ص50.

[3]-غادة أحمد البواب، التّقديم والتأخير في المثل العربي، وزارة الثقافة، عمان دط، 2011م، ص94.

فكما ذكرنا سابقا أنّ كلمات الصّدارة لها الأحقّية التي تستوجب على المفعول به أن يتقدم على الفعل.

- «أن يكون المفعول ضميرا منفصلا، نحو قوله تعالى:﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ، (الفاتحة/05)»[1].

مثال ذلك: إيّاك نكلّم، فلو تأخر المفعول به (إيّا) لاتصاله بالفعل، وصار الكلام: نكلمكم، سيتلاشى ويفسد الغرض البلاغي من التقديم وهو الحصر، ففي الآية الكريمة لو أُخِّر المفعول به(إيّاك) لزم الاتصال واستوجب أن يقال: (نعبدك) فيجب التّقديم هنا.

- «أن يكون عامل المفعول به مقرونا بفاء الجزاء في جواب (أمّا) الشّرطيّة الظّاهرة أو المقدرة، ولا اسم يفصل بين هذا العامل و"أما" ومنه قوله تعالى:﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝﴾ (الضحى/10) ، حيث تقدم المفعول به(اليتيم، السّائل) وجوبا في الآية الأولى، ليكون فاصلا بين "أمّا" والفعل، لأنّ الفعل وخاصة المقرون بفاء الجزاء لا يلي(أمّا) »[2].

ونحو قوله تعالى:﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝﴾(المدثر5/3).

فتقديم المفعول به في هذه الآيات جاء مطابقا للرتبة النحوية فكان تقدمه واجبا وتقدير الكلام: وأمّا ربك فكبر وأما ثيابك فطهّر وأمّا الرجز فاهجر.

ج4- تقديم المفعول به عن الفعل جوازا:

« يتقدم المفعول به جوازا إذا خلا من مواضع الوجوب»[3] وهذا التّقديم يكون جوازا في الحالتين:

---

[1]- بهاء الدّين بن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط16، 1974م، ج2، ص97.

[2]- غادة أحمد البواب، التّقديم والتأخير في المثل العربيّ، ص94.

[3]-المرجع السابق، ص98.

- «أن يشتغل الفعل عن الاسم المتقدم عليه بضميره، لو تفرغ له أو مناسبه لنصبه لفظا ومحلا»[1] ، وهو ما يسمى في النّحو بباب الاشتغال محلا، نحو قوله تعالى: ﴿ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون﴾، (الأعراف/177)، فهنا تقدم المفعول به على الفعل وتخصيص لهؤلاء القوم بالظلم وإبراز لهم في هذا الباب وليس إفساحًا للفاصلة التي تلته بالظهور ونحو قوله سبحانه وتعالى: ﴿نعم خلق الله﴾،(النحل/05)، ففي هذه الآية توسط الفعل بين الاسم المتقدم والضمير العائد عليه، وهذا ما كان سببا في الخلاف بين النحاة.

- أن يتقدم المفعول به على الفعل من دون اشتغال الفعل بضمير عائد على المفعول، نحو قوله تعالى: ﴿فريقا كذبتم وفريقا تقتلون﴾، (البقرة/86).

فالاسم المتقدم"فريقا" مفعول به وهو تقديم يفيد الاختصاص وغرضه العناية والاهتمام، أو مناسبة رؤوس الآي.

د- تقديم المفعول به عن الفعل والفاعل معا وجوبا:

يتقدم المفعول به على الفعل والفاعل وجوبا في مواضع كثيرة أوردها السيوطي في:[2]

- إذا تضمن شرطا مثل: أيهم تضرب أضربه.
- إذا أضيف إلى شرط مثل: كتابَ من تقرأ أقرأ.
- إذا كان متضمنا لاستفهام نحو: من قابلت؟ وأيهم لقيت؟ ومتى جئت؟ سواء كان في ابتداء الاستفهام أم قصد به الاستثبات.
- إذا أضيف إلى استفهام نحو: غلاَم من رأيت؟
- وإذا نصبه فعل أمر دخلت عليه الفاء مثل: زيدا فاضرب.
- إذا كان معمول "كم" الخبرية مثل: كم كتابَ قرأت، أي كثيرًا من الكتب قرأت.

أّما فيما يخص جواز تقديم المفعول به عن الفعل والفاعل فقد ذكرنا ذلك سابقا.

---

[1]- رضي الدين بن محمد الأستربادي، شرح الكافية في النّحو، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، 1985م، ج1، ص75.

[2]-يُنظر، جلال الّدين السّيوطي، همع الهوامع، ص7، 8.

II. أسباب ودواعي بلاغيّة:

تضافرت جهود البلاغيين قديما وحديثا، حول أسباب التّقديم والتأخير وذلك لغاية تندرج تحت ما يعرف بأسباب التّقديم والتأخير في الأسلوب العربّي« **فالألفاظ –كما هو مسلم به– قوالب للمعاني، فلهذا فمن الواجب أن يكون ترتيبها، الوصفي بحسب ترتيبها الطّبيعّي، فرتبة المسند إليه التّقديم، لأنّه المحكوم عليه، ورتبة المسند التأخير إذ هو المحكوم به، وما عداهما فتوابع ومتعلقات تأتي تالية لهما في الرتبة، لكن بعض الكلام قد يعرض له من النّكت الفنية واللطائف البلاغ ية والأبعاد النّفسيّة ما يدعو إلى تقديمه وإن كان من حقه التأخير، فيكون من الأحسن تغيير هذا ليكون المقدم مشيرا إلى الغرض الذي يراد به ومعبرا عمّا يقصد منه»**[1].

وهذا يعني أنّ الأسباب البلاغّية التي أحصاها البلاغيون هي في الوقت نفسه أغراض تحمل دلالات مختلفة تهف إلى التّقديم والتأخير.

وأنّ الأسباب النّحويّة والبلاغّية السّابقة ترمي إلى أنّ المفعول به يتقدم عن الفاعل وجوبا، وهذا يعني أ نّ الأسباب النّحويّة متعلقة بالتّركيب الذي يوجب تقديم المفعول به عن الفاعل، أّما الأسباب البلاغية فتعود إّما لأمر لفظي أو لأمر معنويّ، أو أّنهم يقدمون ويؤخرون لغرض الاهتمام والتّخصيص.

ويختلف التّرتيب في الجمل للأسباب الآتية:[2]

-إما لأمر معنوي، فالتّقديم مثلا عادة ما يكون لغرض التّناسب المعنويّ، نحو: قوله تعالى:﴿ لئن لذين ظهروهم من ا ه هل إ ه كتب من صياصيهم وقذف في ر يقلا ون وت اسرا ون ف ر يقلا ﴾،(الأحزاب/26).

[1]–ابن عبد الله شعيب أحمد، بحوث منهجية في علوم البلاغة، ابن خلدون للنشر والتّوزيع، د.ط، د.س، ص285.

[2]–يُنظر، أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تد: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1999م، ص164.

فهنا ظهر الإعجاز البلاغّي في الاهتمام والتّناسب المعنويّ، نحو قوله تعالى:﴿وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يقوم اتبعوا المرسلين﴾، (يس/20)، فلو تأخر المجرور لتَوهم أنّه من صلة الفاعل وهو خلاف الواقع لأنّه صلة لفعله.

- إمّا لأمر لفظي، مثل قوله تعالى:﴿ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾، (النّجم/23)، فلو قدم الفاعل لاختلفت الفواصل لأنّها مبنية على الألف.

- وإمّا للأهمية، نحو: ضربه المعلم، فالهاء مفعول به مقدم والمعلم فاعل مؤخر فهنا كانت الأولوية للمفعول به الذي وقع عليه فعل الفاعل.

مما سبق نستخلص أ نّ أسباب التّقديم النّحويّة والبلاغّية لم تأتي من فراغ إذ إنّه لا يمكن لأحد أن يقدم أو يؤخّر كما يشاء ووقت ما يشاء وإنّما التّقديم والتأخير" له أسبابه ودواعيه، و«**هناك أنواع كثيرة من التّقديم لا ترجع إلى المسند إليه والمسند ولا إلى متعلقات الفعل، وإنّما ترجع إلى أمور كثيرة، بحثها الزركشي في كتاب "البرهان في علوم القرآن" ورأى أنّ أسباب التّقديم والتأخير كثيرة(عدد منها خمسة وعشرون لونا) منها**»[1].

"فالتّقديم والتأخير" ظاهرتان لغويتان «ويرتبط مبحث التّقديم والتأخير ارتباطا وثيقا بالمتعلق اللّغوي الذي هو هذه الأوضاع النّحوية التي يكتسبها اللفظ بتغيير مكانه في الكلام، ومن ثم يترتب على هذه الأوضاع الجديدة أحكام متجددة في الدلالة تتعلق بالغرض البلاغي أكثر من تعلقها بالرتب النحوية، وإن كانت الأخيرة سبيلا لتحقيق الأول»[2].

فكل هذه الأسباب والدّواعي يلجأ إليها المتكلم في تقديمه وتأخيره بغية تحقيق نسق وأسلوب أفضل.

رابعا: أنواع التقديم والتأخير:

يميز الجرجاني بين نوعين من تقديم الكلمات في الجملة وهما:

---

[1]– يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية علم المعاني –علم البيان– علم البديع، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط1، 2007م، ص101.

[2]– عطية مختار، التّقديم والتأخير ومباحث التّراكيب بين البلاغة والأسلوبيّة، ص81.

1- تقديم على نية التأخير:

«وذلك في كل شيء أقررته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه، وفي جنسه الذي كان فيه كخبر المبتدأ إذا قدمته على المبتدأ، والمفعول إذا قدمته على الفاعل، كقولك: (منطلق زيد) و(ضرب عمرا زيد)، معلوم أن (منطلق) (عمر) لم يخرجا بالتقديم عما كانا عليه، من كون هذا خبر مبتدأ ومرفوعا بذلك، وكون ذلك مفعولا ومنصوبا من أجله كما يكون إذا أخّرته»[1].

2- تقديم لا على نية التأخير:

وهو أن تنقل الشيء عن حكم إلى حكم آخر وتجعل له باًبا غير بابه وإعرابا غير إعرابه وذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأ والآخر خبر له، فيتقدم تارة هذا على ذاك، وأخرى ذاك على هذا، ومثاله ما تصنعه بزيد والمنطلق، حيث تقول مرة (زيد المنطلق) وأخرى(المنطلق زيد) فأنت في هذا لم تقدم(المنطلق)على أن يكون متروكا على حكمه الذي كان عليه مع التأخير، فيكون خبر مبتدأ كما كان بل على أن تنقله عن كونه خبرا إلى كونه مبتدأ، وكذلك لم تؤخّر(زيد)على أن يكون مبتدأ كما كان، بل على أن تخرجه عن كونه مبتدأ إلى كونه خبر.[2]

نستخلص مما سبق أنّ التّقديم والتأخير" من المباحث المشتركة بين علمي النّحو والبلاغة عامة والمعاني خاصة، بحيث نجد أنّ علماء النّحو قد اشتغلوا على رصد صور التّقديم والتأخير"، وهذا ما دفع البلاغيين إلى الاهتمام بالأغراض التي يفرضها أسلوب التّقديم والتأخير لأنّه يرتبط بالدّلالة اللّغويّة والسياسية وهذه هي قيمته البلاغية.

---

[1]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص106.

[2]-يُنظر، جعفر دك الباب، الموجز في شرح دلائل الإعجاز في علم المعاني، مطبعة الجليل، دمشق، ط1، د.س، ص88.

الفصل الثاني: أغراض وجماليات التّقديم والتأخير

أولا: الأغراض البلاغية للتّقديم والتأخير

ثانيا: جماليات التّقديم والتأخير في القرآن الكريم

ثالثا: أهمية التّقديم والتأخير

أولا: الأغراض البلاغيّة للتّقديم والتأخير:

إنّ التّقديم والتأخير موضوع مشترك بين علمي النّحو والبلاغة إلّا أنّ الأوّل درسه من ناحية التّركيب والثّاني درسه من ناحية المعنى، وذلك من خلال تبيين المعاني والأغراض التي اتسمت بها الجملة التي جرى فيها تقديم وتأخير، ومن تلك الأغراض نذكر:

1- التّشويق:

وذلك بأن يكون في المسند إليه غرابة من شأنها أن تشوق المخاطب إلى معرفة المسند، وذلك لأنّ المسند والمسند إليه متلازمان، ومثال ذلك قول أبي العلاء:

والذي حارت البرية فيه*حيوان مستحدث من جماد**

فالمسند إليه الاسم الموصول وهو(الذي)، والجملة التي بعده (حارت البرية فيه) صلة له، والموصول وصلته متلازمان كأّنهما شيء واحد، والمخاطب هنا تتشوق نفسه وفؤاده، لمعرفة الخبر –أي المسند– ذلك لأنّ في المسند إليه غرابة، أي نجد المخاطب يتساءل: ما الذي حارت البرية فيه يا ترى؟ فيجيء الخبر متأخرًا:(حيوان مستحدث من الجماد).

والذي يعنيه الشاعر هو البعث الجسماني، يوم يخرج الناس من أجداثهم، فالناس قد تحيروا في البعث الذي هو إعادة الناس بعد أن كانوا ترابًا.[1]

«ومثال ذلك من القرآن الكريم قولهِ تعالى:﴿ بِيئكم بِشرٍ مِن ذٰلِكُمُ ٱ لنّارُ وعدها ٱلله ٱ لذِين كفرواْ﴾ ، (الحج/72) ، وفي هذه الآية تأخُّر ذكر النّار شَغل العقل والفكر في مسرح من التوقعات الذهنية لما يبشر به من هذا حاله، وليكون ذلك أدعى لاستقرار المعنى وثبوته أيضا»[2].

[1]- يُنظر، فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، دار الفرقان، اليرموك، ط4، 1997م، ص212.

[2]– منير محمود المسوي، دلالات التّقديم والتأخير في القرآن الكريم، تقديم عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 2005م، ص53.

2- إفادة التّخصيص:

« إذا كان الخبر فعلا وولي المسند إليه حرف النّفي، نحو: ما أنا قلت هذا، أي لم أقله وهو مقول لغيري، ولا يقال ذلك إلّا في شيء ثبت أنّه مقول، لكن تريد أن تنفي كونك قائلا له»[1]، أو أن يتأخّر النّفي عند المسند إليه، وأن يكون المسند فعلا: أنا ما فتحت الباب، ومعنى إفادة التّخصيص أنّ المسند إليه ليس هو الذي وقع منه هذا الفعل، ولكن هذا الفعل وقع من غيره، فقولك: ما أنا سرقتُ المحفظة، أردت منه أمرين اثنين هما:

1- نفي السّرقة عن نفسك.

2- إثباتها لغيرك.

ولهذا لا يستعمل هذا الأسلوب، ولا يركب هذا التّركيب، إلّا إذا أردنا هذين الأمرين معا: أي نفي الفعل عن أنفسنا، واثباته لغيرنا فلا يجوز أن تقول: ما أنا سرقت المحفظة، وأنت لا تريد نفي السّرقة عن نفسك دون أن تثبتها لأحد، هذا فيما يخص مجيء المسند إليه بعد نفي أما أن يكون المسند فعلا فنجده في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾، (هود/91).

هنا يفيد المسند إليه التّخصيص، إذ ليس غرض قومه أن ينفوا العزة عنه فحسب، بل إنّ لهم غرضا آخر، وهو أن يثبتوها لرهطه وقومه، ولو قالوا: ما عززت علينا لذهبت هذه الفائدة[2].

3- إفادة التّعميم:

«ويكون ذلك إذا اجتمع في الجملة أداة تدل على العموم وأداة تدل على النفي، وتقدمت أداة العموم على أداة النّفي، فأدوات العموم: (كل) و(جميع) و(عامة) و(كافة) وما يشبهها، مثل: (من) وأدوات النفي (لا) و(لم) وما يشبههما»[3].

---

[1]- أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط3، 1993م، ص102.

[2]- يُنظر، فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، ص216.

[3]- المرجع نفسه، ص224.

ويكون عموم السلب بتقديم أداة العموم ككل وجميع، على أداة النفي نحو: كل قاسي لا يفلح ومعنى ذلك لا يفلح أحد من القسوة، ونحو: كل عامل لم يقصر في عمله (شمول النفي) وعموم السلب يكون النفي فيه لكل فرد، وذلك أنّك إذا بدأت بلفظة (كل) كنت قد بينت وسلطت الكلية على النفي وأعملتها فيه، وذلك يقتضي ألا يشذ عنه شيء.

وسلب العموم يكون بتقديم أداة النفي على أداة العموم نحو: لم يكن كل ذلك، أي لم يقع المجموع، فيتحمل ثبوت البعض ويتحمل نفي كل فرد، ويسمى (نفي الشمول) وعموم السلب يكون فيه النفي للمجموع غالبا ومثال ذلك إفادة العموم من القرآن الكريم قوله تعالى:﴿ا ـ لله لا يحِب كل مختالٍ فـ ـخورٍ﴾ ، (لقمان/18)[1].

ومعنى ذلك أنّ محبة الله لا تعم المختالين الفخورين، حتى تشتمل هؤلاء فكأنّه سبحانه يقول: لو أنّ محبتنا تعلقت بمختال فخور لما تعلقت بأولئك، لأنّ مختالهم وفخورهم شر مخ تال وفخور، وما يكون ظاهره أنّه من سلب العموم، وحقيقته أنّه من عموم السلب، وانّ محبة الله لا تشمل عامة المختالين بلا استثناء.

4- تعجيل المسرة:

«ومثال ذلك قوله تعالى:﴿لله ـعنك لِم أ ـ ذِنت ل ـهم﴾، (التوبة/43)، فلو اختلف الترتيب في الآية فجاءت هكذا "لَم أذنت لهم عفا الله عنك"، لما حملت نفس المعنى ولا أفهمت المراد من الآية الأولى التي جاءت مصدرة بالعفو لإذهاب أي خوف من قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب تصدير الآية بالعتاب»[2].

5- تعجيل المساءة والتّشاؤم:

ومثال ذلك قوله تعالى:﴿ل ـ لذين يـ ـكتب يدٍ ـ هم﴾، (البقرة/78).

---

[1]- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تح: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، د.س، ص124، بتصرف.

[2]-منير محمود المسيري، دلالات التّقديم والتأخير في القرآن الكريم، ص51.

«تقدم كلمة (ويل) أشاع جوا نفسيا مملوءا بالخوف المرتقب والتّشاؤم من العذاب المنتظر الذي مهدت له وأوحت به كلمة (ويل) والتي كان بسبب تقدمها مصاحبة هذا الشعور التّشاؤمي للنفس من هذه الحالة من أول الآية وحتى آخرها ولا يبقى هذا المعنى على حاله إذا تغير هذا الترتيب»[1].

كذلك مثل قولنا: السجن عشرون عاما لقاتل الولد، فهذا التقديم يهدف إلى إحداث انطباع في نفس المتلقي يناسب طبيعة الاسم الذي يفتتح به الكلام.

6- إفادة قصر المسند إليه على المسند:

نحو قوله سبحانه وتعالى: ﴿لكم دينكم ولي دين﴾، (الكافرون/6)،« فلما كان سياق الآية يدور حول عصيان جماعة من الكفار للاستجابة إلى دعوة التّوحيد، وأنهم قد طالبوا الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعبد آلهتهم سنة ويعبدوا إلهه سنة، فإنّ الحال يقتضي أن ينفي الرسول الكريم عن نفسه عبادة أصنامهم نفيا قاطعا، ويؤكد في الوقت نفسه ابتعادهم عن دعوة الحق، لذا وقع التّقديم في الصياغة ليؤدي هذه الوظيفة الدّلالية، فتقدم المسند الجار والمجرور "لكم" على المسند إليه "دينكم" أفاد معنى أن شرككم مقصور عليكم، وتوحيدي مقصور علي»[2].

وهناك العديد من الأمثلة في القرآن الكريم حول قصر المسند إليه على المسند.

7- تقديم الأكثر على الأقل:

كقوله سبحانه وتعالى: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات﴾، (فاطر/32).

[1]- منير محمود المسيري، دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم،ص51.

[2]- عبد الرحيم عزاب، بنية الإيقاع في الخطاب القرآني، جماليات التّقديم والتّأخير أنموذجا، مقاربة أسلوبيّة، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة جيجل، منشورات جامعة جيجل، مجلة النص، الجزائر، العدد08، 2008م، ص136.

«وإنّما قدم الظالم لنفسه للإيذان بكثرته وأن معظم الخلق عليه، ثم أتى بعده بالمقتصدين، لأنّهم قليل بالإضافة إليه، ثم أتى بالسابقين وهم أقل من القليل، أي من المقتصدين»[1].

فهكذا كان التّرتيب، فثّم تقديم الأكثر ثم الأوسط وأخيرا ذكر الأقل، لأنّ الجملة لو عكست لكان المعنى واقعا في موقعه لأنّه يكون قد روعي فيه تقديم الأفضل فالأفضل.

8- تقوية الحكم وتقريره:

مثال ذلك قولنا عن شخص كريم: "هو يعطي الجزيل"، فأنت لا تريد أن تقول أنّ غيره لا يعطي الجزيل، ولا أن تعرض بإنسان آخر يعطي القليل، ولكن تريد أن تقرر في ذهن السامع وتحقق أنّه يفعل إعطاء الجزيل، فتقيم المسند إليه في المثال لغرض تقوية الحكم، وسر التقوية أنّ في مثل هذا التركيب تكرارًا لإسناد من حيث أنّ الفعل وهو "يعطي" في المثال الأول أسند مرتين، أسند أولا إلى الضّمير المستتر فيه، العائد على محمد، ثم أسند إلى الاسم الظاهر، فهو بمثابة قولك: يعطي محمد الجزيل، يعطي محمد الجزيل، فعند تكرار الإسناد يتقوى الحكم ويتقرر في ذهن السامع.[2]

فبهذا يتضح لنا الفرق من حيث تقوية الحكم وتقريره بين "هو يعطي الجزيل" و"يعطي الجزيل".

9- الاهتمام بالممدوح والعناية به:

وذلك يكون بتقديم اسم هذا الممدوح في الجملة، هكذا كان يفعل العرب القدامى، فقد كانوا يبدءون كلامهم بالأهم ومثال ذلك أيضا قوله تعالى: "وبالوالدين إحسانا ﴿" (الإسراء/23)، **فيذكر الرازي في تفسيره أنّ الله تعالى لم يقل وإحسانا بالوالدين، بل قال: "وبالوالدين إحسانا"، مفسرا ذلك بقوله: «تقديم ذكرهما يدل على شدة الاهتمام»[3].**

---

[1]- عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، علم المعاني، البيان، البديع، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط، د.س، ص144.

[2]- يُنظر، أمين أبو ليل، علوم البلاغة، المعاني، البيان والبديع، دار البركة، عمان، الأردن، ط1، 2006م، ص41.

3- فخر الدين الرّازي، التّفسير الكبير، دار إحياء التّراث، بيروت، ط3، 1999م، ج20، ص323.

وبالتالي فالتّقديم هنا يكون لشدة العناية والاهتمام بهذا المقدَّم، وهذا هو الغرض والفائدة من هذا التقديم، نحو قوله سبحانه وتعالى: ﴿وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واركعوا مع الراكعين﴾، (البقرة/42)، فهنا كانت الصلاة مقدمة عن الزكاة وذلك لأهميتها وأسبقيتها على الزكاة فهي الركن الثاني من أركان الإسلام وتليها الزّكاة.

وكذلك هناك أغراض بلاغية أخرى للتقديم والتأخير وهي:[1]

1- السّبق، كقوله تعالى: ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى﴾، (الأحزاب/7).

2- الصلة والسببية، كقوله تعالى: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾، (الفاتحة/04)، لأن العبادة سبب حصول الإعانة.

3- المرتبة، كقوله تعالى: ﴿غفرانك ربنا وإليك المصير﴾ ، (البقرة/181)، لأنّ المغفرة سلامة، والرحمة غنيمة، والسلامة مطلوبة قبل الغنيمة.

4- التّعظيم، كقوله تعالى: ﴿ومن يطع الله والرسول﴾ ، (النساء/69).

5- الغلبة والكثرة، كقوله تعالى: ﴿فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله﴾ ، (فاطر/32).

وفي ضوء ما تقدم يتضح أنّ التّقديم والتأخير من الأساليب التّعبيريّة التي زخر بها النّص القرآني، والتي أضفت إليه بعدًا جماليًا، وإثراءً دلاليا، ممّا جعل متلقي النّص القرآني يستوحي مقصدية هذه الظاهرة وأسباب وجودها.

ثانيا: جماليات التّقديم والتأخير في القرآن الكريم:

إنّ جماليات التّقديم والتأخير من الفنون البلاغيّة الرائعة التي عرفها أهل العلم والذين أوتوا حظا من المعرفة في مواضع الكلام، وقد بلغ القرآن الكريم ذروة في هذا الأسلوب، وارتقى أعلى رتبة في وضع اللفظة بمراعاة السّياق المعنوي الذي ورد فيه بل راعى جميع المواضع التي وردت فيها الألفاظ ونظر إليها نظرة واحدة وشاملة في القرآن كله، فترى الكلام

1- يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص101.

متسقا ومترابطا مع غيره، ويبقى القرآن معجزة على العلماء والكُتّاب والأدباء والبلغاء والرّاسخين في العلم، لأنّه معجزة الرّسول صلى الله عليه وسلم.

1- التّقديم لغرض التّناسب المعنوي:

ونضرب عليه شاهدًا قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾، (الأحزاب/26).

وموطن الشّاهد قوله تعالى: "فريقا تقتلون وتأسرون فريقا"« فقدم (فريقا) وهو مفعول به على عامله (تقتلون) ولم يقدمه على(تأسرون)في التّعبير اللّاحق، وهذا ينسجم مع المعنى المحقق خارج النّص، فلولا تقدم المقاتل لما قُتل ولولا قتله لما أسر الذي تأخر عنه، فتقديم الألفاظ وتأخيرها جسّد لنا صورة واقعيّة معبرة عن الواقع، فالتّقديم جاء مقررا لما حدث في ساحة المعركة من جانبين، الأوّل أنّ المقدم مقتول، والمؤخر مأسور، وهذا ما جاء متناسبا في المعنى، أي أنّ الإعجاز البلاغي الذي ظهر من وراء التّقديم والتأخير هو الاهتمام والتّناسب المعنوي»[1].

وفي دراسة أسلوبيّة **لسامح الرواشدة**أى في التّقديم والتّأخير الماثلين في الآية الكريمة ما يعكس أسلوبيّة الانزياح تارة، والبقاء على البعد المعياري للتركيب اللغوي تارة أخرى، يقول: «**إنّ هذا التّقديم يجعل الاسم المقدم ميزة مهمة، فالأهمية للفئة التي خُصّت بالقتل واستحقته، إنّها الفئة التي أدارت الفتنة، وكانت قادرة على المشاركة في التآمر على المسلمين، إنّهم مناط الفاعلية في الحدث، فلولاهم لما وقعت الخيانة، ولما نقض الحدث؛ لذلك ميزت هذه الفئة –الفريق–فوضعت سابقهُ على العهد، مع أنّ الحدث نفسه يكشف ثقل ما وقع عليهم من عقوبة، حيث كان مصيرهم القتل**»[2].

---

[1]–علي أبو القاسم، بلاغة التّقديم والتأخير في القرآن الكريم، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2006م، ج2، ص597، 598.

[2]– سامح عبد العزيز الرواشدة، جماليات التعبير في القرآن الكريم، دار صايل للنشر، ط1، 2013م، ص102.

ويرى الرواشدة أنّ الفئة الثانية –المأسورة– عبّر عنها النّص بصورة معياريّة لا انزياح فيها، حيث قُدّم الفعل على الفاعل، ويعلل ذلك بقوله:« **أما الفئة الثّانية وهي الفئة التي كانت نصيبها الأسر، فلقد خضعت للبعد المعياري للتّركيب فقال: (وتأسرون فريقا)؛ إنّها فئة غير قادرة على الدفاع عن نفسها، وهي ليست عنصرا فاعلا في الصراع، ولذلك يكون نصيبها الأسر، وهو أمر طبيعيّ ومألوف، إذ أنّ العادة عند العرب تقوم على سبي من يقع في يد الجنود من النساء والأطفال، لذلك ظلّت ضمن السياق دون انزياح**»[1].

ومن شواهد (التناسب المعنوي) أيضا قوله تعالى: ﴿ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل﴾،(الأنعام/103)، فقدم الوصف بالوحدانية ليناسب ذلك ما تقدمه في قوله تعالى: ﴿لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون﴾ (الأنعام/101) وقوله تعالى: ﴿يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ...﴾،(الأنعام/102)،« فالكلام في تقرير وحدانية الله سبحانه وتعالى ولهذا السبب قدّمه على قوله: (خالق كل شيء)»[2].

وفي هذا الباب – باب التناسب المعنوي– التفت كثير من الدّارسين إلى قضية رزق الأولاد، ورزق الآباء في قوله تعالى: ﴿" ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم﴾، (الإسراء/31)، وقوله تعالى:"﴿ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ...﴾، (الأنعام/151)

« فقدم رزق الأبناء على الآباء في الآية الأولى، وفي الثانية قدم رزق الآباء على الأبناء، وذلك أنّ الكلام في الآية الثانية موجه للفقراء وليس للأغنياء، فهم يقتلون أولادهم من الفقر الواقع بهم فأوجبت البلاغة تقديم عدتهم –أي وعدهم– بالرزق، لتكميل العدة برزق الأولاد، وفي الآية الأولى وجه الخطاب لغير الفقراء وهم الذين يقتلون أولادهم، لأنّهم يخشون أن تسلبهم كلف الأولاد ما يملكون من المال، فوجب تقديم العدة برزق الأولاد، فيأمنوا ما

[1]–سامح عبد العزيز الرّواشدة، جماليات التّعبير في القرآن الكريم، ص102.

[2]–علي أبو القاسم، بلاغة التّقديم والتأخير في القرآن الكريم، ص597.

خشوا عليه من الفقر، أي أنّ الله جعل معهم رزقهم، فهم لا يشاركونكم في رزقكم فلا تخشوا الفقر»[1].

مما سبق نستنتج أنّ الكلمة القرآنية قد تتقدم هنا وتتأخر هناك فيظن القارئ أنّ الأمر فيه تكرار للفكرة ذاتها، ثم يفطن إلى الفرق الدّقيق بين الموضعين –إنّ فتح الله عليه باب التفطن والتدبر– ليدرك أنّ كلام الله معجز، لا في سوره وآياته فحسب بل في اللفظة الواحدة والحرف الواحد.

2- التّقديم والتأخير لغاية إظهار مراتب الحب والإيثار:

قد يرد ترتيب الألفاظ في الآية القرآنية دالا على مراتب المحبة، وصلة الرحم التي تحرك الإنسان، ففي قوله تعالى: ﴿نساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم﴾، (آل عمران/61)، تم تقديم الأبناء على النّساء، كما تّم تقديم النّساء على الأنفس، وحول تغيير هذا التّرتيب يقول الزّمخشري:« **وخصّ الأبناء والنّساء، لأنّهم أعزُّ الأهل، وألصقهم في القلوب، وربّما فداهم الرّجل بنفسه وحارب دونهم حتى يُقتل... وقدمهم في الذكر على النّفس لينبه على لطف مكانهم، وقرب منزلتهم، وليؤذن بأنهم مقدمون على النّفس مُفدّون بها»**[2].

غير أنّ الزّمخشري لم يفصل الحديث حول تقديم الأبناء على النساء، وما إذا كان الإنسان يفتدي ولده أولا أم زوجته، غير أنّ موقعًا آخر في القرآن الكريم يفصّل هذا الأمر، وذلك حين يصور مشهد النّاس يوم الحساب، وفرارهم من أحب الناس إليهم لهول الموقف وخوف الحساب، وهو من أشد الصّور القرآنية تأثيرا في النّفس، وترهيبا من شدة ذلك اليوم، يقول تعالى: ﴿يوم يفر المرء من أخيه ﴿٣٤﴾ وأمه وأبيه ﴿٣٥﴾ وصاحبته وبنيه ﴿٣٦﴾﴾(عبس/34-36).

---

[1]- فاضل صالح السامرائي، التّعبير القرآنيّ، دار عمار، عمان، الأردن، ط8، 1434هـ، 2012م، ص64.

[2]- محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف، تح: مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربيّ، بيروت، لبنان، د.ط، 1406هـ-1986م، ج1، ص369،370.

فالتّقديم هنا أفاد التّدرج بالرتبة من الأبعد إلى الأقرب.

وقد يجادل بعض النّاس في هذا المعنى زاعمين أن الأبوين أعزّ وأغلى من الصّاحبة والبنين، بدليل واقعهم أو ظروفهم المعيشة، ولكن جدالهم هذا لا يعكس إلّا مخالفة للفطرة التي فطر الله النّاس عليها، التي اقتضت أن ينتمي الانسان لأسرته أولا –زوجته وأبنائه–، فالأهل هنا هم الزّوجة والأولاد، وهم آخر من يفرّ منهم الإنسان يوم الحساب، لشدّة التصاقه بهم وانتمائه إليهم.

- وفي تأمل لنظام التّرتيب والتّقديم والتأخير" في مراتب الحب والايثار، نجد نظاما آخر يعكس هذه المراتب حيث تتقدم فيه المرأة على الابن، عكس ما تقدم من حديث عن هذه المراتب وذلك في قوله تعالى:﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة﴾ (آل عمران/14).

حيث تظهر المرأة مقدمة على البنين، وقناطير الذهب والفضة، يقول **العلويّ** في (طرازه) مفسّرا هذا التّقديم:

« **فلما بدأ بذكر الحب والمحبوب مختلف المراتب، فالتّفاوت في الدّرجات اقتضت حكمته سبحانه وتعالى تقديم الأهم فالأهم من المحبوبات، فقدم النّساء على البنين؛ لما يظهر فيهن من قوة الشّهوة وإثارتهن على المحبوب، وقدّم البنين على الأموال لتمكنهم في النّفوس، واختلاط محبتهم بالأفئدة، وهكذا جاء الكلام في سائر المحبوبات، فالنّساء أحب من البنين، والبنون أحبّ من الأموال، والذّهب أحبّ من الفضة...وهكذا**»[1].

فتقديم اللفظ أو المعنى في موضع وتأخره في موضع آخر، إنّما يكون لغاية بلاغية، ومعنى عظيم يستنبط من معرفة عظيمة بطبيعة النّفس البشريّة، وما تحمله من عواطف ورغبات...

3- التّقديم للفضل والشّرف:

يجد المتأمل في كتاب الله والمدقّق في رتب الألفاظ أنّ دافع الفضل والشّرف قد يكون هو المحرك لنقل الألفاظ وترتيبها، حيث يتقدّم الأنبياء على الصّدّيقين والشّهداء، والصّالحين،

[1]– يحيى العلوي، الطراز، مكتبة المعارف، الرّياض، بيروت، لبنان، د.ط، 1400هـ، 1980م، ج2، ص62–6.

لفضلهم ورتبتهم، كما يتقدم ذكر الله على هؤلاء جميعا لفضله سبحانه وعلو مرتبته ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا﴾ ،(النّساء/68).

وقد يلمح الدّارس في الآية نفسها سببًا آخر للتّقديم والتأخير" وهو التّدّرج من القلة إلى الكثرة، يقول فاضل السّامرائي: «...**فقدَّم الله على الرّسول ثم بدأ بالتّدّرج من القلة إلى الكثرة، بحيث تفاضلهم أي من الأفضل إلى الفاضل، فبدأ بالنّبيين وهم أقل الخلق، ثّم الصّدّ يقين وهم أكثر، ثّم الشّهداء ثّم الصّالحين، ولا شكّ أنّ أفضل الخلق هم أقل الخلق، إذ كلما ترقى النّاس في الفضل قل صنفهم**»[1].

وفي قول السّامرائّي:" كلما ترقى النّاس في الفضل قلّ صنفهم"، كثير من التّوفيق، وخلاصة حكيمة، تعرف بمخالطة النّاس ومعاملاتهم، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة في كثير من المواضع كقوله تعالى: ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ ، (يوسف/21).

﴿ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾، (هود/17).

﴿ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾، (يوسف/38)، وغيرها...

ومن المواضع الدّالة على التّقديم للفضل والشّرف، الآيات الدّالة على شرف الرّسالة على النّبوة كقوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي﴾، (الحج/52) ؛ لأنّ الرّسول أفضل من النّبي، فالرّسول مكلّف بالتّبليغ، والنّبي غير مكلّف بذلك.

وقد ورد في بدائع الفوائد تحليل لآية الوضوء وأركانه، فذهب صاحب البدائع إلى أنّ تقدّم الأعضاء بعضها على بعض في الذّكر إنّما جاء بالفضل والشّرف، وذلك في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين﴾،(المائدة/06).

يقول ابن القيّم في ترتيب ذكر الأركان السّابقة:

[1]- فاضل صالح السّامرائّي، التّعبير القرآنّي، ص55.

فقد جاء في الفوائد أنّ هذا التّرتيب جاء واجبًا على رأي الشّافعيّ وأحمد ومن وافقهما، فالآية عندهم اقتضت التّقديم وجوبا لقرائن عدة:

الأول: أنّه أدخل ممسوحا بين مغسولين، وقطع النّظير عن نظيره، ولو أريد الجمع المطلق لكان المناسب أن يذكر المغسولات مُتّسِقة في النّظم، والممسوح بعدها، فلما عدل إلى ذلك، دلّ على وجوب ترتيبها على الوجه الذي ذكره الله تعالى.

الثّاني: أنّ هذه الأفعال هي أجزاء فعل واحد مأمور به، وهو الوضوء، فدخلت الواو عاطفة لأجزائه بعضها على بعض، والفعل الواحد لا بدّ من ارتباط أجزائه بعضها ببعض، فدخلت الواو بين الأجزاء للرّبط، فأفادت التّرتيب.

الثّالث: أنّ الله –سبحانه وتعالى– بدأ بالوجه دون سائر الأعضاء خاصّة؛ وجب مراعاتها، وأن لا تلغى وتهدر فيهدر ما أعده الله ويؤخّر ما قدّمه الله[1].

وفي دراسة للسيوطّي في "المعترك"،« **يذهب إلى أنّ تقديم الحي على الميت والخيل على غيرها من المركوبات، إنّما هو باب الفضل والشّرف**»[2]، وذلك في قوله تعالى:﴿يخرج الحي من الميت﴾،(الروم/18)،فالحي أفضل من الميت، وفي قوله تعالى:﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها﴾ (النّحل/08)، فالخيل أشرف المركوبات، يليها البغال، وتليها الحمير، وهو كما نرى باب كبير، يمكن من خلاله تقدير المخلوقات وشرفها في الخلق والتّقديم.

4- السّبق بالطّبع والذّات:

ونمثّل لذلك بترتيب الأعداد طبقا لقيمتها، فالعدد ذو القيمة الأقل يتقدم على ذي القيمة الأكبر، من ذلك قوله تعالى:﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾، (المجادلة/07)؛ فالثلاثة بذاتها تسبق الأربعة، والأربعة تسبق الخمسة، وهكذا، ومن ذلك قوله أيضا:﴿الحمد لله فاطر السموت

---

[1]– ابن القيم الجوزية، بدائع الفوائد، تح: علي بن محمد العمران، دار علم الفوائد، ط2، 1427هـ، ج1، ص109، بتصرف.

[2]– جلال الّدين السّيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تح: أحمد شمس الّدين، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ، ج1، ص131.

﴿والأرض جاعل الـ ـملائكة رسلا أولي أجنحة مثـ ـنى وثلاث ورباع﴾، (فاطر/01)، فتّم التّرتيب للأعداد طبقا لقيمتها وتصاعدها.

« وقد عدّ النّارسون قدم ذكر لفظ الجلالة على ما سواه من باب التّقدم بالطّبع والذّات، فالله متقدم بذاته قبل أن يكون تقدمه من باب العظمة، والإجلال، من ذلك قوله تعالى﴿إن الله وملائكته يصلون على النبيء﴾، (الأحزاب/56)، فالله سبحانه عظيم دون تقديم؛ لأنّ عظمته ظاهرة جلية»[1].

5- السّبق في الايجاد:

هو السّبق زمانيا، فما وُجد أوّلا يتقدم على ما سواه، من ذلك قوله تعالى:﴿الله يصطفي من الـ ـملائكة رسلا ومن الناس﴾، (الحج/75)،« فقدم الملائكة، لأنّهم أسبق في الوجود، رغم أنّ بعض البشر قد يتقدمون بالفضل على الملائكة، وعلى رأسهم الرّسول محمد صلّى الله عليه وسلم، ومن ذلك قوله تعالى:﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك﴾، (الأحزاب/59)، فقدم ذكر الأزواج؛ لأنّهن أسبق في الوجود من البنات »[2].

ومن ذلك أيضا قوله تعالى:﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم﴾ (البقرة/255).

فتقدّم السِّنة(وهي النّعاس)؛ لأنّ السِّنة تسبق النوم زمانًيا.

ومن هذا التّقديم قوله تعالى:﴿قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا﴾ ،(الملك/29)، « فقدم الفعل(آمنا)على الجار والمجرور(به) وأخّر (توكّلنا) على الجار والمجرور(عليه)»[3]، وذلك أنّ:« **الإيمان لما لم يكن منحصرا في الإيمان بالله بل لا بدّ معه من رسله وملائكته وكتبه واليوم الآخر وغيره مما يتوقف صحة الإيمان عليه، بخلاف التّوكل فإنّه لا يكون إلّا على الله وحده؛**

---

[1]-علي أبو القاسم، بلاغة التّقديم والتأخير في القرآن الكريم، ج1، ص190.

[2]- بدر الّدين الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، د.س، ج3، ص239.

[3]- السّامرائي، التّعبير القرآنّي، ص50.

لتفرده بالقدرة والعلم القديمين الباقيين، قدم الجار والمجرور؛ ليؤذن باختصاص التوكل من العبد إلى الله دون غيره؛ لأنّ غيره لا يملك ضرًّا ولا نفعًا فيتوكّل عليه»[1].

6- السّبق بالمكان:

وقد عالج هذا الغرض الزّركشّي في (البرهان) عندما عرض لقوله تعالى:﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق﴾، (الحج/25)، يقول:« **فإنّ الغالب أنّ الذين يأتون رجالا من مكان قريب، والذين يأتون على الضّامر من البعيد»[2].**

وقد جعله ابن عباس من باب الفاضل على المفضول، فقد روي عنه قوله:« **وددت أني لو حججت راجلًا؛ لأنّ الله قدّم الرجالة على الرّكبان في القرآن»[3].**

وكما تراعي الآيات الكريمة موضوع السّبق المكاني، والسّبق في الوجود تراعي السّبق في التّكليف، فما يكلّف به الإنسان أولا يُذكر أوّلا، لا سيما في مجال الشّعائر، من ذلك قوله تعالى:﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله﴾، (البقرة/157)، فقد جاء تقديم الصّفا على المروة؛ لانّ السّعي في أداء مناسك الحج والعمرة يبدأ من الصّفا.

ومن جميل التّقديم في القرآن الكريم، ما دلّ على أهمية الحواس والنّعم في حياة الإنسان، فقد دار حديث عند المفسرين لمحاولة فهم تقديم السّمع على البصر في كثير من الآيات القرآنية من ذلك قوله تعالى:﴿إنه هو السميع البصير﴾،(الشورى/09)،﴿وهو السميع البصير﴾ (الإسراء/01)، أي الله سبحانه وتعالى،﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا﴾، (الإنسان/02)، أي الإنسان.

وقال سبحانه وتعالى:﴿والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا﴾" (الفرقان/73).

« والصّم هم فاقدو السّمع، والعمي فاقدوا البصر، ويذهب الدّارسون إلى أنّ هذا التّرتيب دال على أهمية السّمع وتقدمه على البصر ومن تعليلاتهم لهذا التّقديم انّ الله لم يبعث نبيّا أصمّ

[1]- الزّركشي، البرهان، ج2، ص421.

[2]- المرجع نفسه، ج3، ص249.

[3]- ابن القيم الجوزية، بدائع الفوائد، ص109.

ولكنّ النّبي قد يكون أعمى»[1]، كسيدنا يعقوب –عليه السّلام– الذي عمي لشدة حزنه على فراق ابنه، ولم يمنعه العمى من تبليغ الرّسالة، كما ذهبوا إلى أنّ السّمع عند تلقي الرّسالة أفضل من البصر؛« لأنّ الأعمى يستطيع ان يفهم ويبلغ بخلاف الأصم»[2]؛ ولذلك نجد من العميان علماء كبارًا ومحاضرين ومصلحين.

«ومن تعليلاتهم لهذا التّقديم أنّ مدى السّمع أقرب من مدى الرّؤية، فقدم ذا المدى الأقرب متدرجا من القصر إلى الطّول»[3]، ولذا قال تعالى مخاطبا موسى وهارون: ﴿إنّني معكما أسمع وأرى﴾، (طه/45)،« فقدم السّمع؛ لأنّه يدل على القرب، فالذي يسمعك يكون في المسافة قريبا منك، بخلاف الذي يراك فإنّه قد يكون بعيدًا، وإن كان الله سبحانه وتعالى لا يندّ عن سمعه شيء»[4].

كذلك تنبه الدّارسون إلى تقدم ذكر صفاته سبحانه وتعالى بعضها على بعض الآخر، وخرجوا بتعليلات لطيفة لهذا التّقديم، ومن ذلك تقدم ذكر العزة على الحكمة في قوله تعالى: ﴿وهو العزيز الحكيم﴾، (الحشر/01)، « فقالوا: لأنّه عزَّ فحكم»[5]، ولكن القوة تقدمت على العزّة في موضع آخر في قوله تعالى:﴿إنّ الله لقوي عزيز﴾، (الحج/72)،« فقالوا قوي فعزّ»[6]، وجميعها مواطن دقيقة لا يجوز المرور عليها دون تأمل.

كذلك أورد المفسرون تعليقات أخرى لورود ذكر فئات من الناس قبل غيرهم في القرآن الكريم، من ذلك قوله تعالى: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله﴾، (فاطر/32)

---

[1]– السّامرائي، التّعبير القرآني، ص55.

[2]– المرجع نفسه، ص56.

[3]– يُنظر، المرجع نفسه، ص نفسها.

[4]– المرجع نفسه، ص نفسها.

[5]– جلال الدّين السّيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، 1407هـ، 1987م.، ج3، ص39.

[6]– المرجع السابق، ص54.

فقد جاء في الكشاف للزمخشري:« **فإن قلت: لِمَ قُدِّم الظّالم ثّم المقتصد ثّم السّابق؟ قلت: للإيذان بكثرة الفاسقين وغلبتهم، وأنّ المقتصدين قليل بالإضافة إليهم، والسّابقون أقل من القليل**»[1].

فمثل هذه الملحوظات البلاغّية تغني ثقافة القارئ، ومعرفته بحقيقة الّنفس البشرّية وطبيعة الحياة الاجتماعّية للبشر، ورفض الأكثرية الطّاعة والانقياد لأمر الله.

ويقود الحديث عن طبائع الّناس وتحليل القرآن لهذه الطّبائع إلى إيراد ما قيل حول صفات الهّمازين واللّمامين المانعين للخير، وكيف تّم ترتيب صفاتهم وذلك في قوله تعالى:﴿ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم﴾(القلم/12/10)،

« فبدأ برتبة الهّماز الذي يعيب الّناس، وهذا لا يحتاج إلى مشي، ثّم انتقل إلى مرتبة أبعد في الإيذاء، وهو المشي في الّنميمة، وبعدها انتقل إلى مرتبة أبعد في الإيذاء وهو أن يمنع الخير عن الآخرين، ثم انتقل إلى مرتبة أكثر بعدًا مما قبلها وهو الاعتداء، فإنّ منع الخير قد لا يُصاحبه اعتداء، أّما العدوان فهو أشّد المراتب المتقدمة إيذاءً»[2].

وجاء في بدائع الفوائد:« **وأّما تقّدم هّماز على (مشّاء بنميم) فبالرتبة؛ لأنّ المشي مرتب على القعود في المكان، والهّماز هو العيّاب، وذلك لا يفتقر إلى حركة وانتقال من موضعه بخلاف الّنميم، وأّما تقدم (منّاع للخير) على(معتدٍ)، فبالرتبة أيضا؛ لأنّ المنّاع يمنع نفسه، والمعتدي يعتدي على غيره ونفسه قبل غيره**»[3].

نستنتج مما سبق أنّ ملاحظات الّدارسين تعكس ذكاءً وعمقا في التأمل عند تناولهم للآيات الكريمة، كما تتعدى الأسلوب البدائي في التّفسير الذي كان يقتصر على شرح المفردات أو مناسبة الّنص إلى أسلوب التأمل في مواقع المفردات، ومحاولة الخوض في فوائد تقديمها وتأخيرها.

---

[1]- الزّمخشري، الكشّاف، ص613.

[2]- السامرائي ،التعبير القرآني، ص56.

[3]- ابن القيم الجوزية، بدائع الفوائد، ص109.

ثالثا: أهمية التّقديم والتأخير ودلالته :

إنّ التّقديم والتأخير ظاهرة من ظواهر اللغة العربية، ويعتبر أسلوب من أساليب القرآن الكريم، حيث يعتبر شاهد من شواهد بلاغة القرآن وإعجازه، وتتجلى أهميته ودلالته في العربية فيما يلي:

أ-التّقديم والتأخير ومرونة العربية:

فهو دليل مرونة العربية، وحرّيتها في تغيير بنية الكلام، والتّصرف في الرّتب المحفوظة اعتمادا على قرائن متعدد ة من أهمها العلامة الإعرابّية،« فلو اقتصر في البيان على حفظ المرتبة فيعلم الفاعل بتقدمه والمفعول بتأخره لضاق المذهب، ولم يوجد من الاتساع بالتّقديم والتأخير ما يوجد بوجود الإعراب، إّنه يكسب المتكلّم مقدرة على إنتاج الجمل وتفهمها وهو ما يعرف بالكفاية اللغوية»[1].

والكفاية اللغوية لا تتحقق إلّا بالقدرة على إجراء العمليات التّحويلّية، والتّقديم والتأخير" يشكل عنصرا أساسيا في العمليات التّحويلية، فهو عند البعض يساوي عمليتي الإبدال والجمع، وعند البعض يساوي عملية التّبادل وعند البعض الآخر يسلوي عمليتي التّبادل والتّقديم، «ففي جميع العمليات التي يقصد بها التّقديم والتأخير، يقوم التحويل بإبدال موقع ركن كلامي بصورة اختيارية إلى موقع آخر في الجملة»[2].

وللتأكيد على أنّ "التّقديم والتأخير" دليلا على مرونة العربّية وحريتها لأّنه يمثل إحدى عمليات التّحويل، فإّنه من اللازم التّمثيل لذلك بالجملة الآتية: "قتل زيد العدو في الميدان صباحًا"، «فهي جملة توليدية يمكن إنتاج جمل تحويلية أصولية كثيرة تتفق في بنيتها العميقة وتفترق في صورتها السطحية، وتتنوع دلالتها البلاغية»[3].

فيمكن أن نقول على سبيل المثال:

---

[1]-علي أبو القاسم، بلاغة التّقديم والتأخير في القرآن الكريم، ص48.

[2]- المرجع نفسه، ص 47.

[3]- المرجع نفسه، ص49.

- زيد قتل العدو في الميدان صباحًا.
- زيد قتل العدو صباحًا في الميدان.
- العدو قتله زيد صباحًا في الميدان.
- في الميدان قتل زيد العدو صباحًا.

ومن ثم يمكن إنتاج الكثير من الجمل المقبولة لغويًا، والتي تتفاوت في القوة والتّوكيد، وفي الحصر والتّخصيص، وفي العناية والاهتمام.

وإذا كان في التّقديم والتأخير دلالة على مرونة العربيّة وحريتها واتساع التعبير فيها لكونه وسيلة هامة في عملية التّحويل التي تتشقق بها الجملة التّوليديّة إلى العديد من الجمل التّحويلية،«فتكسب اللغة سعة في التّعبير وتمنحها ثروة هائلة في التّراكيب فإنّه نافذة تُطِلُّ منها المشاعر النّفسيّة للمتكلم، لأنّه يستطيع أن يظهر أحاسيسه، ويبث خواطره من خلال نقله لما هو مناط اهتمامه من موقع لآخر، ففي تحريك العنصر الكلاميّ تحريك للأثر النّفسيّ»[1].

ب- التّقديم والتأخير والدّقة في التّعبير:

إنّه دليل دقة التّعبير وحسن الأداء، فمن الدّقة أنّ للتّقديم والتأخير أثارًا خاصة مع بعض الألفاظ نحو: (مثل) و(غير)، فعلى سبيل المثال، هناك فروق في دلالة (مثل) في قول المتنبي:

مِثْلُكَ يَثْنِي الحُزْنَ عَنْ صَوْبِهِ * وَيَسْتَرِدُّ الدَّمعُ عَنْ غَرْبِهِ**[2]

ودلالتها في قول الشّاعر:

يَا عَاذِلِي دَعْنِي مِنْ عَذْلِكَا * مِثْلِي لا يَقْبَلُ مِنْ مِثْلِكَا**[3]

ففي البيت الأول قصد ما أضيفت إليه (مثل) وأّما في البيت الثاني فقصد بها المماثل.

---

[1]-علي أبو القاسم، بلاغة التّقديم والتأخير في القرآن الكريم، ص49،50.

[2]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص138.

[3]- المرجع السابق ، ص51.

والتّقديم والتأخير" في الظّرف والاسم مرتبط بدرجة العناية والاهتمام، ومنه قوله تعالى﴿ ... يكن له كفوا أحد ﴾، (الإخلاص/04).

ففي هذه الآية ألغى الظّرف وأخبر بالاسم، فالدّقة في التّعبير تتطلب تقديم ما هو محط الفائدة، وهذا ما جعل أهل الجفاء من العرب، يقول: (ولم يكن كفؤا له أحد)« كأنهم أخروا الظّرف حيث كان غير مخبر به»[1].

ومن الدّقة ما يحدث من تقديم وتأخير في أساليب القصر وما يُرافق ذلك من اختلاف في المعاني، ففي قوله تعالى﴿ ... إنما يخشى الله من عباده العلماء ... ﴾،(فاطر/28).

« نجد في تقديم اسم الله عز وجل معنى خلاف ما يكون لو أُخّر، فالتّقديم أبان أنّ الغرض تبيين(الخاشون) من هم، والإخبار بأنّهم العلماء خاصة دون غيرهم، ولو أُخّر لفظ الجلالة وقُدّم العلماء لكان المعنى مختلفا ولصار الغرض بيان المخشي من هو والإخبار بأنه الله تعالى دون غيره، ولم يجب أن تكون الخشية من الله تعالى مقصورة على العلماء»[2].

فالتّقديم والتأخير"يُظهر دقة الفرق بين الآية السابقة وبين قوله تعالى﴿ ... يخشون أحدا إلا الله ﴾،(الأحزاب/39)، فهذه قُصِرت فيها خشية الرسل على الله بعكس الأولى التي قُصِرت فيها خشية الله على العلماء.

ج-التّقديم والتأخير والتّمكن في الفصاحة:

التّقديم والتأخير" دليل التّمكن في الفصاحة، حيث أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة، وملكتهم في الكلام وانقياده لهم، وله في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق، فهذا امرؤ القيس يقول:

كأنّ قُلوبَ الطّ ْيرِ رَطْبا ويَابِسًا ***لَدى وَكْرِها العُ نَّابُ والحشَفُ البَ الي[3]

والمعري يقول:

---

[1]- سيبويه، الكتاب، ص56.

[2]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص139.

[3]-علي أبو القاسم، بلاغة التّقديم والتأخير في القرآن الكريم، ص53.

حِسَامُك للأَعْمارِ أَبَرى منَ الرَّدى* **وعَفْوُك لِـ لجَاني أَعَزُّ المَعاقِلِ[1]

والمتنبي يقول:

يـ ُرادُ مِنَ القَلْبِ نِسْيـ َانـ ُكُمْ* ** وتـ َأْبى الطِّباعُ ُ على النّاقِلِ[2]

ففي الأبيات من المزية والجمال ما يدل على التّمكن من تصريف القول وتعميق المغنى، وجلّ الفضل في ذلك لما فيها من تقديم.

د-التّقديم والتأخير وقوة الأسلوب:

« وهو دليل قوة الأسلوب، لأنّ قوة الأسلوب تعود إلى قوة الصورة وقوة التّراكيب، ومن سبل قوة التّراكيب التّقديم والتأخير، فتقديم الكلمة أو تأخيرها بالنسبة إلى موضعها الطّبيعّي دلالة على القصر أو التفخيم أو حسن الذّوق واللّباقة، أو الأهمية مطلقا»[3].

وقوة الأسلوب ماثلة في كلّ آية من القرآن الكريم، ودليل إعجاز القول الحكيم، قال تعالى:﴿بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم﴾، (الأنعام/102)، إنّ في أسلوب هذه الآية من قوة ورصانة ما يتطلبه تثبيت العقيدة وتحقيق الوحدانية والإقرار بالألوهية للواحد الأحد، وما كان ذلك التّقديم إلّا لأغراض سامية ودلالات عميقة، تُثير الإحساس بروعة التّعبير وجمال التأثير وقوة التّبليغ، وليس ذلك إلّا نفحات الإعجاز البياني.

هـ-التّقديم والتأخير والأثر النّفسّي:

« للتّقديم والتأخير أهمية في إظهار الآثار النّفسّية للمتكلم، فهو يتضمن أبعادًا نفسية، ونكتا ولطائف بلاغّية، وما الأغراض البلاغّية للتّقديم والتأخير إلّا ترجمة صادقة للأغوار النّفسّية وانعكاسا واضحا لخلجات النّفس، وسبرا عميقا لمكنوناتها»[4].

---

[1]- علي ابو القاسم ، بلاغة التقديم و التأخير في القرآن الكريم، ص53.

[2]- المرجع نفسه، ص نفسها.

[3]- المرجع نفسه، ص54.

[4]- المرجع نفسه، ص55.

وأوّل من أشار إلى البعد النّفسّي للتّقديم والتأخير هو سيبويه حيث جعل العناية والاهتمام منطلق التّقديم والتأخير، فقد كانت إشارته إلى العناية والاهتمام أساسا لنقاش طويل شغل جل اللّغويين والبلاغيين.

و- التّقديم والتأخير والاعتبارات المعتمدة:

«تظهر أهمية التّقديم والتأخير في اعتماد سياقاته على اعتبارات تتصل بالمتكلم والمتلقي، واعتبارات تتصل بطبيعة الصّياغة، وغيرها من الاعتبارات السّابقة»[1].

ومما يتصل بكل هذه الاعتبارات ما ورد في قوله تعالى: ﴿فأمّا اليتيم فلا تقهر ۝٩ وأمّا السّائل فلا تنهر ۝١٠ وأمّا بنعمة ربّك فحدّث ۝١١﴾، (الضّحى/9-11).

ويتلخص القول في أنّ« أهمية ودلالة التّقديم والتأخير في العربية المتمثلة في بيان مرونة العربية، ودقة التّعبير فيها، والدّلالة على التّمكن في الفصاحة، الإفصاح عن قوة الأسلوب، وإظهار الأثر النّفسّي واعتماد سياقاته على اعتبارات تتصل بالتركيب والخطاب، وتوسيع القدرة الإنجازّية على التّخاطب، وتفوقها به على غيرها من اللغات»[2].

.

[1]- محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبّية، دار نوبار للطباعة مكتبة لبنان ناشرون، القاهرة، ط1، 1994م، ص334.

[2]- المرجع نفسه، ص59.

الفصل التطبيقي

أولا: بين يدي السورة

ثانيا: صور التقديم والتأخير في سورة الرحمن

ثالثا: ملخص لمواضع التقديم والتأخير الواردة في سورة الرحمن

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴿٤﴾ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجۡمُ
وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ
بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلۡحَبُّ ذُو
ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ
ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾
يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡمُنشَـَٔاتُ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ﴿٢٤﴾
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ﴿٢٦﴾ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾
سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ
أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرۡسَلُ
عَلَيۡكُمَا شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ وَنُحَاسٞ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ
وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُسۡـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٞ وَلَا جَآنّٞ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعۡرَفُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ بِسِيمَٰهُمۡ فَيُؤۡخَذُ بِٱلنَّوَٰصِي وَٱلۡأَقۡدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَ حَمِيمٍ ءَانٖ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيۡنَانِ تَجۡرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٖ زَوۡجَانِ
﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ

﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ
وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾
حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾
تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

اولا : بين يدي سورة الرحمن:

1-التعريف بسورة الرحمن : هذه السورة هي احدى سور القرآن الكريم وهي مكية على الراجح من قول العلماء ، كما أنها السورة الوحيدة التي بدأت باسم من اسماء الله الحسنى دون ان يكون قبله كلام ويرجح أن تكون مبكرة في النزول نظرا لمعالجتها مواضيعا تخص أصول العقيدة والتي كان التركيز عليها كبيرا في تلك المرحلة المبكرة من الدعوة الاسلامية فقد أخرج أحمد في مسنده بسند جيد عن أسماء بنت أبي بكر قالت : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي نحو الركن قبل أن يصدع بما يؤمر والمشركون يسمعون يقول: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ » [1].

وهي السورة الخامسة والخمسون في ترتيب المصحف العثماني ، وقد تكررت فيها الآية التي تبين الامتنان والتعظيم لله في إحدى وثلاثين مرة ، وهي قوله تعالى ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴿١٣﴾﴾ ،حيث أنها تخاطب العقل كي يعي آلاء الله مستنكرة تكذيب الكافرين وعنادهم لله سبحانه وتعالى على الرغم من كل نعمه ، وإقرار عباده بالنعم التي تفضل بها عليهم « وعد أهل المدينة ومكة آيها سبعا وسبعين ، وأهل الشام والكوفة ثمانا وسبعين لأنهم عدوا الرحمان آية ، وأهل البصرة ستا وسبعين» [2].

فنجد السورة الكريمة قد ابتدأت بذكر نعم الله الظاهرة وآلائه الباهرة ،فأولا ابتدأت بنعمة القرآن الكريم، وهو المعجزة الكبرى والنعمة العظمى التي خص بها لله عباده أجمعين ، فبالقرآن الكريم يفهم الانسان حقيقة وجوده ولذلك قدم بالذكر على خلق الانسان.

بعد ذلك ورد في السورة ذكر لنعم أخرى عظيمة تستوجب شكر الله سبحان وتعالى والاكثار من ذكره، والحث على عبادته وحده، وأن كل المخلوقات من كائنات أو جماد يسجدوا له ويسبحون لعظمته في قوله تعالى :﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴿٦﴾﴾ [الرحمن/ 6]، فكل هذا إشارة الى ارتباط الوجود

[1]- محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، للنشر، تونس ، دط، 1984 م ، ج 27، ص 288.
[2]- المرجع نفسه ، ص نفسها .

بخالقه المبدع العظيم واتصال الكون بجلاله سبحانه وتعالى، كما ورد تحدي للإنس والجن حول التكذيب بألاء الله وهذا التحدي يتكرر عقب بيان كل نعمة من نعمه سبحانه وتعالى: في قوله : فبأي ﴿ ءالاء ربكما تكذبان ﴾ [الرحمن/ 13] ، تكررت هذه الآية احدى وثلاثين مرة بدءا من الآية الثالثة عشرة، ذلك أن التكرار هو إحدى وسائل التوكيد في كل اللغات والآداب، وهذا أمر متعارف، كما نجد كذلك في السورة الكريمة استخدام أسلوب الترغيب والترهيب فالله سبحانه وتعالى ذكر أهوال يوم القيامة ،وتحدث سبحانه وتعالى عن حال الاشقياء المجرمين ، وما يلاقونه من فزع ، وبعدها يذكر مشهد النعيم المثقفين في شيء من الاسهاب والتفصيل فيكونون في جنات النعيم مع الحور العين، « ففي هذه السورة ذكرت نعم الله التي لا تعد ولا تحصى ،منها الكبرى المستقرة، ومنها الصغرى المتجددة بتجدد الحياة الانسانية، فعلى كل انسان شكر هذه النعم اعترافا بها واجلالا لها ووفاء لحق المنعم » [1]، ففي السورة نسق خاص وملحوظ وما يميزها أكثر جمالا وتناسقا كلماتها مما يجلي وضوحها.

2- سبب تسمية السورة (الرحمن):

للسور القرآنية أسماء وعناوين هذه الأسماء استقاها الصحابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالفاتحة مثلا لها أسماء عديدة مثل سورة الحمد ، وأم القرآن ، والسبع المثاني ، والشفاء والأساس .

أما سورة الرحمن فسميت بهذا الاسم نظرا لافتتاحها باسم من اسماء الله الحسنى وهو . الرحمن . وهو اسم مبالغة من الرحمة، وهو الذي أنعم على عباده بنعم لا تعد ولا تحصى ، أما الرحيم فهو المنعم بدقائق النعم والخاص بالمؤمنين ، ولذا يقال: الرحمن :لجميع الخلق أي أن كل خلق الله معنيون، والرحيم: بالمؤمنين.

[1]- وهبة بن مصطفى الزحيلي ، التفسير الوسيط ، دار الفكر ، دمشق، ط1، 1442 هـ ، ج3 ، ص 259.

« و روي عن علي –رضي الله عنه– أن رسول الله صَل الله عليه وسلم قال: لكل شيء عروس وعروس القرآن سورة الرحمن »[1].

فيكفي السورة شرفا أنها سميت (الرحمن) فهي سورة محببة للناس وفيها اسم الله الرحمن الذي يفتتح به القارئ قراءته في كل سورة يوجد لفظ (الرحمن) بالبسملة عدا سورة براءة، ويرتبط سبب تسمية السورة بالرحمن بالموضوع الرئيسي العام التي تتحدث عنه الآيات، إذ تدور حول محور الدلالة على عظمة ملك الله وقدرته، وتبرزها بسياق الرحمة، كما تبين هذه السورة الآيات الكونية التي تظهر عموم رحمة الله بعباده وفي خلق الكون، وتوجه القارئ من خلال عرض آيات الله الكونية إلى عظمة خالق الكون.

فقد ذكر المفسرون أن سورة الرحمن ذكرت آلاء الله وعددت نعمه على جميع المخلوقات، كما نجد في السورة تحد على هؤلاء الذين يجرؤون على التكذيب بنعم الله، فحثتهم على شكر الله عليها وحذرتهم من تكذيبها ونكرانها، كما بينت في الوقت نفسه أن كل هذا الابداع في الخلق والاتقان في التدبير مصدره رب عظيم مالك مقتدر رحمان رحيم تسبق رحمته غضبه، فناسب ذلك تسمية هذه السورة بـ "الرحمن"[2]

وهو اسم من أسماء الله الحسنى، ولفظة الرحمن هي كلمة واحدة في بداية السورة، وتعني الرحمة التي يتصف بها الله عز وجل، كما نجد الكثير من العلماء قالوا أنه يوجد سبب آخر خلف تسمية سورة الرحمن بذلك الاسم، ذلك أنها من السور القرآنية التي تتحدث في مضمونها عن رحمة الله سبحانه وتعالى، ويكون ذلك بواسطة الاسم الشامل والعام للرحمة بجميع المخلوقات وهذا الاسم هو (الرحمن) الذي يبرز من خلاله مدى رحمة الله بمخلوقاته وأن رحمته وسعت كل شيء سبحانه وتعالى.

وقد فسرت تسمية سورة الرحمن بعروس القرآن من عدة وجوه منها: [3]

[1]- محمد علي طه الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط1، 1430هـ، 2009م، مج 9، ص 394.
[2]- ينظر، عمر عرفات، دلالة أسماء السور القرآنية على موضوعاتها ومحاورها، مؤسسة الرسالة، دمشق، سوريا، ط1، دس، ص 510.
[3]- ينظر، منيرة الدوسري، أسماء سور القرآن وفضائلها، دار ابن الجوزي، السعودية، ط1، دس، ص 413-417.

- الوجه الأول: تشبيه سورة الرحمن بالعروس من حيث الزينة ؛ فكما أن العروس تتزين بالحلي والملابس الفاخرة، فإن القرآن يتزين بسورة الرحمن التي ذكرت نعم الله تعالى على خلقه.

- الوجه الثاني: تسميتها بالعروس ؛لأن المسلم عندما يقرؤها ويكرر قوله تعالى:﴿ **فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ** ﴿١٣﴾ ﴾ (الرحمن/13)، تتضح له هذه النعم، فيصل إلى مطلوبه في حب المنعم "سبحانه وتعالى" تماما كما يحصل مع العروسين.

- الوجه الثالث: اطلاق اسم العروس عليها من باب المدح والثناء عليها، وليس من باب تسميتها بذلك من الرسول –صلى الله عليه وسلم-.

فاسم الرحمن يدل على عموم رحمة الله لعباده وفي خلق الكون وحياة الانس والجن في الدنيا والآخرة، فقد « قال سعيد بن جبير، وعامر الشعبي: (الرحمن) فاتحة ثلاث سور؛ إذا جمعن كن اسما من أسماء الله تعالى (الر) و(حم) و(ن) فيكون مجموع هذه (الرحمن)، هذا: وقد يوصف بالرحيم المخلوقون، وأما الرحمن فلا يوصف به إلا الله تعالى»[1].

ومنه نستخلص أن سبب تسمية سورة الرحمن بهذا الاسم، أنها من أكثر السور القرآنية التي تتضمن على العديد من الأمور التي تدل على رحمة الله سبحانه وتعالى ورأفته بعباده، سواء كانوا مسلمين أو كافرين.

3– سبب نزول السورة (الرحمن):

صفة الرحمن من أحب الصفات التي يحبها الله سبحانه وتعالى، ذلك أن صفة الرحمن تنبع من الرحمة والمغفرة، « وقد قيل: إن سبب نزولها قول المشركين المحكي في قوله تعالى " وإذا قيل لهم اسجدوا

[1]- محمد علي طه الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، ص 395.

للرحمان قالوا وما الرحمان" في سورة الفرقان، فتكون تسميتها باعتبار إضافة "سورة" إلى "الرحمان" على معنى إثبات وصف الرحمان»[1].

كذلك قيل عن سبب نزول هذه السورة الكريمة قيام قوم قريش بإبداء رغبتهم في عدم الاعتراف بصفة الرحمن، فكانت سورة الرحمن ردا بنزولها لتوضح أن الله عز وجل هو الرحمن وهو من يقوم بتعليم نبيه محمد صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم. «وقيل سبب نزولها قول المشركين "إنما يعلمه بشر" المحكي في سورة النحل فرد الله عليهم بأن الرحمن هو الذي علم النبي صلى الله عليه وسلم القرآن»[2].

أما بالنسبة لنا كما يبدو أنه ليس من الضرورة أن يكون لكل سورة من سور القرآن الكريم أو لكل آية من آياته سببا لنزولها معروفا كان أم مجهولا ذلك أن القرآن الكريم كتاب هداية وصلاح للأمة، فنجد مثلا ابن عاشور في مقدمته الخامسة لتفسيره الجامع "التحرير والتنوير" يقول: « إن القرآن كتاب جاء لهدي أمة والتشريع لها، وهذا الهدي قد يكون واردا قبل الحاجة، وقد يكون مخاطبا به قوم على وجه الزجر أو الثناء أو غيرهما، وقد يكون مخاطبا به جميع من يصلح لخطابه، وهو في جميع ذلك قد جاء بكليات تشريعية وتهذيبية، والحكمة في ذلك أن يكون وعي الأمة لدينها سهلا عليها، وليمكن تواتر الدين، وليكون لعلماء الأمة مزية الاستنباط، وإلا فإن الله قادر أن يجعل القرآن أضعاف هذا المنزل...»[3].

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن القرآن الكريم فعلا كتاب يهدي للتي هي أحسن ويشرع لما يصلح لخطاب الناس أجمعين في كل مكان وزمان.

وأنه يوجد كذلك من سور القرآن الكريم وآياته ما نزل من غير سبب معين كحدث أو واقعة وقعت أو سؤال سئل، وهذا كثير في القرآن الكريم بحسب رأي العلماء، كما أن « ثمة فائدة أخرى عظيمة لأسباب النزول وهي أن في نزول القرآن عند حدوث حوادث دلالة على إعجازه من ناحية الارتجال،

[1]- محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، دط، 1984م، ج 27، ص 227،228.
[2]- المرجع نفسه ، ص 228.
[3]- المرجع نفسه، ج1، ص 50.

وهي إحدى الطريقتين لبلغاء العرب في أقوالهم، فنزوله على حوادث يقطع دعوى من ادعوا أنه أساطير الأولين »[1].

وهذا يعني أن العديد إن لم نقل الأغلب من سور وآيات القرآن الكريم سبب لنزولهم في إبطال تكذيب المكذبين والإجابة عن أسئلة السائلين وتعليم الجاهلين وإرشاد الضالين... فتبارك الله وتعالى عما يصفون.

4- فضل السورة (الرحمن):

تعد سورة الرحمن من أفضل سور القرآن الكريم التي وردت أحاديث كثيرة في فضل قراءتها، ولكن لم يثبت صحة معظم هذه الأحاديث، فقد عالجت وناقشت العديد من الموضوعات الهامة التي ترتبط بأصول العقيدة ومن فضلها يتعلم المؤمن أن الله تعالى هو الباقي الذي لا يفنى أبدا وهو ذو الجلال والإكرام، كما تشدد على ضرورة عدم التكذيب بآيات الله تعالى ودلائل خلقه من خلال تكرار آية "فبأي آلاء ربكما تكذبان" فهي تؤكد إعلاء كلمة الله تعالى في الأرض وأنه هو الباقي وأن الجميع فاني من هذه الدنيا وهالك إلا وجهه سبحانه وتعالى كما « تخلل ذلك إدماج التنويه بشأن العدل، والأمر بتوفية أصحاب الحقوق حقوقهم، وحاجة الناس إلى رحمة الله فيما خلق لهم، ومن أهمها نعمة العلم ونعمة البيان، وما أعد من الجزاء للمجرمين، ومن الثواب والكرامة للمتقين ووصف نعيم المتقين»[2].

كذلك من فضل السورة أن الله سبحانه وتعالى استخدم فيها أسلوبي الترهيب والترغيب، وبهما رهب المجرمين والكافرين وأن مأواهم النار، ورغب المؤمنين وحبب إليهم الجنة وأن مأواهم فيها خالدون ووضح حالة الفزع التي سوف يشعر بها الأشخاص يوم القيامة وما سيواجههم من أهوال في ذلك اليوم، وبالمقابل نجده وضح نعم الجنة التي تنتظر المؤمنين والصالحين.

[1]- محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج1، ص 50.
[2]- المرجع نفسه، ج27، ص 229.

ومنه فمقاصد سورة الرحمن تشتمل بشكل عام على بيان رحمة الله تبارك وتعالى بخلقه فهو من أطلق على نفسه اسم "الرحمن" وقد اتبع عز وجل فيها أسلوب الترغيب تارة والترهيب تارة أخرى، وكان من أول مقاصد وفضل سورة الرحمان هو إثبات نبوة محمد صلَى الله عليه وسلم، والتفكر والتدبر بخلق الله وجعله سبيلا للتقرب منه والحث على طاعته سبحانه وتعالى، لأنه لا مفر من الهروب من قوته عز وجل، وكذا من ناحية القانون، فيلزم الله الإنسان أن يكون عادلا في القياس والوزن، لقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ۝٩﴾ (الرحمن/9).

ثانيا: صور التقديم والتأخير في سورة الرحمن:

ظل ولا يزال القرآن رغم مرور الأزمان وتعاقب الفترات عليه معجزة لا ينتهي إعجازها، وحجة وبرهانا دامغا يتصدى لكل معارض ومنكر للذات الإلهية، فكان لزاما على الأئمة والعلماء البحث في خباياه ومعرفة أسرار بلاغته وفصاحته، ومن هذه الأسرار التي تعكس البيان المعجز والبلاغة المبينة ظاهرة التقديم والتأخير في النص القرآني، ويمكننا القول أن سورة الرحمن تمثل حقلا خصبا لهذه الظاهرة اللغوية، وسنحاول من خلال هذه الدراسة أن نبين بأن (التقديم والتأخير) لم يكن عفويا بل له دلالة ومعنى وبلاغة متفردة.

كما نعلم أنه لا اختلاف في أن القرآن الكريم كلام الله المعجز، ولكن هناك اختلاف بين علماء الدين حول تفسير هذا الكلام الرباني المعجز بآياته وألفاظه ومعانيه، يقول الشيخ عبد القاهر: «أصل الحسن في جميع المحسنات اللفظية أن تكون الألفاظ تابعة للمعاني فمجرد المحافظة على الرؤوس لا يصير نكتة للتقديم إلا أن يثبت أن المعاني إذا أرسلت على سجيتها كانت تقتضي التقديم على أن المحافظة لا تجري في كل سورة بل فيها ما يقتضي خلاف هذا كسورة الرحمن»[1] فالنص القرآني إذن يحتمل العديد من الأوجه، كذلك بالنسبة للتقديم والتأخير والذي هو سر من أسرار البلاغة، نجد اختلافا في آراء العلماء حوله، فاختلاف الآراء في تفسير القرآن وارد في ديننا الإسلامي، نجد مثلا

[1]- محمود الألوسي أبي الفضل شهاب الدين، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ، 1994م، مج1، ص 66.

الدكتور ابراهيم عوض يقول في هذا الصدد: « وثالثة النقاط التي أريد أن أدرسها هنا هي قابلية بعض آيات سورة "الرحمن" لأكثر من تفسير، والمعروف أن كثيرا من العبارات القرآنية يمكن أن يفسر على أكثر من وجه، وذلك قد يكون راجعا إلى الايجاز الذي صيغت به العبارة، أو إلى الطريقة التي ركبت بها ألفاظها أو إلى استخدام الضمير بدلا من الاسم الظاهر»[1] ، فدقة القرآن الكريم في اختيار اللفظ وانتقاء العبارات والمعاني يدل على أن فكر الانسان وتدبره فيه محدود فـ « الأسلوب القرآني هو أسلوب غني مشحون، ويظهر أثر ذلك في تعدد التفاسير للآية أو الجملة الواحدة. وهو ما يعبر عنه القول الشائع: "القرآن حمال أوجه"»[2].

في دراستنا هذه سنستخرج مواضع التقديم والتأخير الواردة في سورة الرحمن، وفق ما وصلنا من تفسيرات الأوائل رحمهم الله والله ولي التوفيق.

1- قال تعالى:﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ ﴾ (الرحمن/1-4).

«"الرحمن علم القرآن" أي الله الرحمن علم القرآن، ويسره للحفظ والفهم، قال مقاتل: لما نزل قوله تعالى ﴿اسجدوا للرحمان﴾ (الفرقان: 60) قال كفار مكة، وما الرحمن؟ فأنكروه وقالوا لا نعرف الرحمن فقال تعالى (الرحمن) الذي أنكروه هو الذي (علم القرآن).» [3]

– هذه الآيات الكريمة التي بين أيدينا وبحسب هذا التفسير تدل على أن هناك وجهان، الوجه الأول أن لفظ (الرحمن) مبتدأ، وجملة علم القرآن خبر، كما نرى أن الأخبار تعددت بعد ذلك، فالجملة الأولى (علم القرآن) خبر أول للمبتدأ (الرحمن)، والجملة الفعلية (خلق الانسان) خبر ثان للمبتدأ و (علمه البيان) كذلك جملة فعلية في محل خبر ثالث للمبتدأ. والفاعل هنا في (علم القرآن)

[1]- إبراهيم عوض، سورة الرحمن دراسة بلاغية وأسلوبية، المكتبة الدينية، فلسطين، دط، دس، ص 21.
[2]- المرجع نفسه، ص 22،23.
[3]- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار الصابوني للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1417هـ، 1997م، ص 275/3.

ضمير مستتر جوازا تقديره هو، و(القرآن) مفعول به منصوب، وقد حذف المفعول الأول اختصارا لأن ما بعده يدل عليه، أي تقدير الكلام، علم الانسان القرآن.

أما الوجه الثاني من عد الرحمن آية يكون هناك حذف كون (الرحمن) خبر لمبتدأ محذوف أي الله الرحمن أو مبتدأ خبره محذوف أي الرحمن ربنا.

- فيما يخص التقديم والتأخير نجد في السورة الكريمة تقديم القرآن وتعليمه على خلق الإنسان ف «أراد الله أن يقدم في عدد آلائه أول شيء ما هو أسبق قدما من ضروب آلائه وأصناف نعمائه وهي نعمة الدين، فقدم من نعمة الدين ما هو أعلى مراتبها وأقصى مراقيها وهو إنعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه، وأخر ذكر خلق الإنسان من ذكره ثم أتبعه اياه ثم ذكر ما تميز به من سائر الحيوان من البيان».[1]

- فنستنتج بذلك أن التقديم هنا كان غرضه التشويق كما ذكرنا سالفا في الجزء النظري أن من الأغراض البلاغية للتقديم والتأخير أن يكون هناك تشويق للمخاطب، فهنا شوق الله تعالى الإنسان إلى الخبر الذي سيرد بعد اسمه تبارك وتعالى.

- كذلك من الأغراض البلاغية التخصيص، أي أن الله عز وجل يخص نفسه دون غيره بتعليم القرآن وخلق الانسان وما إلى غير ذلك من النعم، وفي ذلك تأكيد على أنه عز وجل وحده من يختص بهذه الصفات الربانية العظيمة فقد «...قيل يا رحمن الدنيا لأنه يعم المؤمن والكافر ورحيم الآخرة لأنه يخص المؤمن إن أرادوا به أن أبلغية الرحمن ها هنا باعتبار كثرة أفراد الرحمة في الدنيا لوجودها في المؤمن والكافر فلا يستقيم عليه»[2].

نجد أن الله يخصص نفسه في هذه الآيات عمن سواه بهذه الصفات وهذه النعم التي ينعم بها على عباده أجمعين، فقد «عدد الله عز وجل في أول هذه السورة آلاءه، ونعمه فأراد أن يقدم أول شيء ما

[1]- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج27، ص 229.
[2]- ابراهيم عوض، سورة الرحمن دراسة بلاغية و أسلوبية، ص 64.

هو أسبق قدما من ضروب آلائه، وصنوف نعمائه، وهي نعمة الدين، فقدم من نعمة الدين ما هو سنام في أعلى مراتبها، وأقصى مراقيها...و أخر ذكر خلق الإنسان عن ذكره، ثم أتبعه إياه...»[1]

ذلك أن الله تعالى خلق الإنسان للدين وأن نعمة تعليم القرآن أشد و أبلغ من خلق الانسان، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن أهمية العلم عظيمة وأن وضع المناهج والأسس أمر ضروري وأساسي قبل الاقدام على أي عمل، فقبل أن يخلق الله الإنسان وضع له منهجا لحياته يسير وفقه، «فحركة الحياة إن قامت على وفق منهج الله ساد الأمن والرخاء، وحفظ لكل ذي حق حقه، وإن قامت على غير هذا المنهج ضاعت الحقوق وعم الفساد وانتهكت الأعراض»[2].

نستنتج أن أكبر نعمة ومنة أنعمها الله على عباده هي نعمة القرآن الكريم الذي به يعرف الإنسان الطريق المستقيم، وبه يميز الخير من الشر، لذا تقدم في الذكر على خلق الإنسان الذي أبدع تبارك وتعالى بخلقه في أحسن تقويم وميزه عن جميع المخلوقات بأن علمه البيان.

2- قال تعالى: ﴿ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝٦ ﴾ (الرحمن/6) .

ورد في هذه الآية الكريمة أن النجم والشجر كلاهما يسجد لله سبحانه وتعالى، «والنجم اسم جنس، والمراد به النجوم تسجد لله – عز وجل- ... سجودا حقيقيا، لكننا لا نعلم كيفيته، لأن هذا من الأمور التي لا تدركها العقول، والشجر يسجد لله عز وجل سجودا حقيقيا، لكن لا ندري كيف ذلك، والله على كل شيء قدير». [3]

اختلف العلماء على ماهية ومعنى النجم في هذه الآية، مع العلم أنهم اتفقوا على كون الشجر ما قام على ساق، وأن النجم في هذه الآية النبات الذي لا ساق له كالبقول وغيرها مما لا ساق له.

[1]- محمد علي طه الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، ص 395.
[2]- محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، أخبار اليوم، دط، 1991م، ج1، ص 14805.
[3]- محمد بن صالح العثيمين، تفسير القرآن الكريم، دار الثريا للنشر، المملكة العربية السعودية، ط1، 1425هـ، 2004م، ص 303.

« وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: عني بالنجم: ما نجم من الأرض من نبت لعطف الشجر عليه، فكان بأن يكون معناه لذلك، ما قام على ساق وما لا يقوم على ساق يسجدان لله، بمعنى أنه تسجد له الأشياء كلها المختلفة الهيئات من خلقه أشبه وأولى بمعنى الكلام من غيره»[1].

وبالتالي فإن النجم والشجر في هذه الآية الكريمة من جنس واحد على حسب ما ورد في التفاسير، فهما يخضعان للإرادة الربانية والقانون الكوني الذي وضعه الله.

في هذه الآية الكريمة ورد تقديم المسند إليه (النجم والشجر) على المسند (يسجدان)، لتكون مماثلة للآية التي جاءت قبلها في قوله تعالى:﴿ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥ ﴾ (الرحمن/5)، وكان الغرض البلاغي

من هذا التقديم هو التخصيص، فقد بين الله عز وجل لنا أن السجود لا يكون إلا لوجهه تبارك وتعالى دون سواه، وأن كل المخلوقات من كائنات حية وجماد تسبح وتسجد له كالشمس والقمر والنجم والشجر... (والنجم) مبتدأ (والشجر) معطوف عليه (يسجدان) فعل مضارع مرفوع والألف فاعله والجملة الفعلية خبر للمبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها.

3- قال تعالى:﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝٧ ﴾ (الرحمن/7) .

وقال أيضا: ﴿ وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ۝١٠ ﴾ (الرحمن/10).

في الآية الأولى « يعني العدل، كما قال تعالى: ﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ ﴾ وهكذا قال ههنا: ﴿ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ۝٨ ﴾

[1]- الطبري، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: بشار عواد معروف وعصام فارس الحرشاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1994م، مج 7، ص 178.

- أي خلق السماوات والأرض بالحق والعدل، لتكون الأشياء كلها بالحق والعدل»[1] أي إن الكون له قواعد تحكمه وميزان يعدله ولم يخلق عبثا أما الآية الثانية فتتحدث عن خلق الأرض « ومعنى "وضعها" خفضها لهم، أي جعلها تحت أقدامهم وجنوبهم لتمكينهم من الانتفاع بها بجميع ما لهم فيها من منافع ومعالجات»[2].

- في الآية الأولى ورد تقديم المفعول به وهو (السماء) على الفعل (رفع) والفاعل والذي هو ضمير مستتر تقديره (هو) تعود على المولى عز وجل.

- كذلك الأمر بالنسبة للآية الثانية فقد ورد فيها تقديم المفعول به (الأرض) على الفعل (وضع) والفاعل والذي هو ضمير مستتر تقديره (هو).

- ورد كذلك تأخير خلق السماوات والأرض عن خلق الانسان على الرغم من أن خلقهما أعظم من خلق الانسان، ذلك أن الإنسان هو من يحقق الاستخلاف في الأرض وأن السماوات والأرض إنما خلقت لينتفع الإنسان بها وهذا التقديم غرضه البلاغي هنا هو الفضل والشرف الذي خصه الله للإنسان على غرار باقي المخلوقات.

4- قال تعالى:﴿ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ﴿١١﴾ ﴾ (الرحمن/11)

فهنا يذكر الله نعمة الأرض ومالها من فوائد على الإنسان، وبين لنا أن البشر ينتفعون من خيراتها «ولقد يسر لهم فيها الحياة، وهي تدور بهم حول نفسها وحول الشمس، وتركض مع الشمس وتوابعها بتلك السرعة المذهلة، وقدر فيها أقواتها التي يذكر منها هنا الفاكهة –ويخص منها النخل ذات الأكمام– (والكم كيس الطلع الذي ينشأ منه الثمر) ليشير إلى جمال هيئتها بجانب فائدة ثمرتها»[3].

[1]- أبي الفداء اسماعيل بن كثير، مختصر تفسير ابن كثير، تح: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، ط7، 1402هـ، 1981م، ص 416.

[2]- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج27، ص 241.

[3]- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1972م، مج 6، ص 208.

- ففي هذه الآية الكريمة ورد تقديم الخبر عن المبتدأ، فهنا (فيها) هي خبر مقدم و(فاكهة) مبتدأ مؤخر، والجملة استئنافية لا محل لها من الاعراب (والنخل) معطوف على فاكهة (ذات) صفة و(الأكمام) مضاف إليه.

ومنه فتقديم الخبر شبه الجملة جار ومجرور (فيها) على المبتدأ (فاكهة) كان وجوبا «وجملة "فيها فاكهة" إلى آخرها مبينة لجملة "والأرض وضعها للأنام" وتقديم "فيها" على المبتدأ للاهتمام بما تحتوي عليه الأرض»[1].

- فالغرض البلاغي هاهنا من التقديم هو الاهتمام والتركيز على منافع الأرض وما تحتويه من خيرات ونعم يستفيد منها الانسان.

5- قال تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ ﴾ (الرحمن/13) .

وقد تكررت هذه الآية واحد وثلاثون مرة في السورة الكريمة، وهذا التكرار إنما هوا للتقرير بالنعم العديدة والعظيمة التي أنعم بها الله سبحانه وتعالى على عباده «أي: فبأي الآلاء –يا معشر الثقلين، من الإنس والجن- تكذبان؟... أي: النعم ظاهرة عليكم وأنتم مغمورون بها، لا تستطيعون انكارها و لاجحودها، فنحن نقول كما قالت الجن المؤمنين: "اللهم ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب، فلك الحمد"»[2] ،فكلما ذكر الله سبحانه وتعالى نعمة أنعم بها وبخ على التكذيب بها.

- ورد في هذه الآية تقديم شبه الجملة (فبأي آلاء ربكما) على الفعل (تكذبان)، والفاء هنا رابطة لجواب شرط مقدر (بأي) متعلق بـ (تكذبان)، وجملة جواب الشرط المقدر لا محل لها من الإعراب.

[1]- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج27، ص 241.
[2]- أبي الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم، ط1، 1420هـ، 2000م، ص 1796.

- أما الغرض البلاغي من هذا التقديم والتأخير في الآية هو التوبيخ « والمقصود الأصلي: التعريض بالمشركين وتوبيخهم على أن أشركوا في العبادة مع المنعم غير المنعم، والشهادة عليهم بتوحيد المؤمنين، والتكذيب مستعمل في الجحود والانكار»[1].

وهنا نستنتج أنه لابد للإنسان إذا تليت عليه نعمة من نعم الله عز وجل وآلائه، أن يقر بها ويشكر الله تعالى على ذلك.

6- قال تعالى:﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ۝١٤ وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ۝١٥ ﴾ (الرحمن/14-15).بين لنا الله جل وعلا خلق الانسان وخلق الجان «أي خلق أباكم آدم من طين يابس يسمع له صلصلة أي صوت إذا نقر (...) وخلق الجن من لهب خالص لا دخان فيه من النار»[2].

ففي الآية الكريمة ورد تقديم خلق الإنسان على خلق الجن، ولهذا غرض بلاغي معين، وهو تفضيل الله للإنسان عن باقي المخلوقات الأخرى، فخص الله الانسان بالفضل والشرف والدليل على ذلك أن الله أمر الجن بالسجود للإنسان، وكذلك من الأغراض البلاغية التذكير بقدرة الله المطلقة على خلق الانسان من طين والجن من نار فسبحانه على كل شيء قدير.

7- قال تعالى:﴿ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ ۝١٧ ﴾ (الرحمن/17).

ف «الحق سبحانه يذكر المشرقين والمغربين في سياق نعمه تعالى وهذا يعني أن فيهما ينطوي كثير من النعم»[3] ،فقد جاء تقديم المشرقين على المغربين والغرض من ذلك هو السبق في الايجاد، فما وجد أولا لا يتقدم عن سواه.

8- قال تعالى: ﴿ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ ۝٢٠ ﴾ (الرحمن/20) .

[1]- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج27، ص 243.
[2]- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص 276/3.
[3]- محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، ص 14822.

تخبرنا هذه الآية على البحرين والبرزخ الذي يفصلهما « وقوله: "بينهما برزخ لا يبغيان"، يقول تعالى ذكره: بينهما حاجز وبعد، لا يفسد أحدهما صاحبه فيبغي بذلك عليه، وكل شيء كان بين شيئين فهو برزخ عند العرب، وما بين الدنيا والآخرة برزخ»[1]، أما البرزخ الذي يفصل بين البحرين فمعناه بحسب التفسير منع تجاوز كل منهما حدود الآخر فالعذب متفرد بعذوبته والمالح كذلك متفرد بملوحته.

- ورد في الآية الكريمة تقديم الخبر (بينهما) على المبتدأ (برزخ) ولا نافية ويبغيان فعل مضارع والجملة صفة لبرزخ، وتقديم الخبر عن المبتدأ وجوبا غرضه التشويق والتركيز على قدرة الله.

9- قال تعالى:﴿ يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ۝٢٢ ﴾ (الرحمن/22) .

«أي يخرج من البحرين العذب والمالح اللؤلؤ والمرجان، وهو قطع من اللؤلؤ أحمر جميل الشكل واللون مع أنها مياه»[2] ،وهذا كذلك من عجائب صنع الله وقدرته أن من علينا بالبحار وليس هذا فحسب بل في هذه البحار منافع ونعم أكثر وأعظم.

ورد في الآية الكريمة تقديم شبه الجملة (منهما) على الفاعل (اللؤلؤ والمرجان) جوازا، وهنا كان التركيز على البحار التي فيها من النعم ما لا يعد ولا يحصى فسبحان الله العظيم.

10- قال تعالى:﴿ وَلَهُ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡمُنشَـَٔاتُ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ۝٢٤ ﴾ (الرحمن/24).

هنا تتحدث الآية الكريمة عن السفن «أي: وسخر تعالى لعباده السفن الجواري التي تمخر البحر و تشقه بإذن الله، التي ينشئها الآدميون، فتكون من كبرها وعظمها كالأعلام وهي الجبال العظيمة، فيركبها الناس، ويحملون عليها أمتعتهم وأنواع تجاراتهم، وغير ذلك مما تدعو إليه حاجاتهم»[3].

[1]- الطبري، تفسير الطبري، ص 183.
[2]- محمد بن صالح العثيمين، تفسير القرآن الكريم، ص 309.
[3]- عبد الرحمان بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمان بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 1423هـ، 2002م، ص 830.

في هذه الآية ورد تقديم الخبر وهو شبه الجملة (له) على المبتدأ (الجوار) جوازا.

ومنه نستنتج أن الغرض البلاغي من وراء هذا التقديم هو تقوية الحكم وتقريره فجعل الله بذلك تلك الجواري المنشآت له تبارك وتعالى، فهي تجري بقدرته وتحت حفظه وهذه نعمة عظيمة.

11- قال تعالى: ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ (الرحمن/29).

فالله تعالى لا يغفل عن عباده لحظة ولا طرفة عين «أي كل ساعة ولحظة هو تعالى في شأن من شؤون الخلق، يغفر ذنبا، ويفرج كربا ويرفع قوما، ويضع آخرين، قال المفسرون: هي شؤون يبديها ولا يبتديها أي يظهرها للخلق ولا ينشئها من جديد لأن القلم جف على ما كان وما سيكون إلى يوم القيامة»[1].

ورد في هذه الآية تقديم ظرف الزمان (كل يوم) على الجملة الاسمية (هو في شأن)، وهذه الجملة هي جملة استئنافية لا محل لها من الاعراب والغرض هنا من التقديم هو تقوية الحكم وتقريره، ذلك أن الله قدرته ربانية ولا محدودة ولا يستطيع العقل البشري أن يستوعب ذلك.

12- قال تعالى: ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ ﴾ (الرحمن/35).

فلفظ (عليكما) في هذه الآية الكريمة تعود على الجن والانس « ومعنى "يرسل عليكما" أن ذلك يعترضهم قبل أن يلجوا في جهنم، أي تقذفون بشواظ من نار تعجيلا للسوء، والمضارع للحال، أي ويرسل عليكما الآن شواظ»[2].

في هذه الآية تقدمت شبه الجملة (عليكما) على نائب الفاعل (شواظ)، وكان الغرض البلاغي من هذا التقديم والتأخير هو تعجيل المساءة مثل ما ورد في التفسير السابق، فهنا تخويف الله لعباده تعتبر نعمة ومنة منه، لكي يبتعد الانس والجن عن طريق الضلال لأنه لا ناصر من دون الله تبارك وتعالى.

[1]- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص 278/3.
[2]- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 27، ص 260.

13- قال تعالى:﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ ﴾ (الرحمن/29).

«أي: سؤال استعلام بما وقع، لأنه تعالى عالم الغيب والشهادة والماضي والمستقبل، ويريد أن يجازي العباد بما علمه من أحوالهم، وقد جعل لأهل الخير والشر يوم القيامة علامات يعرفون بها»[1]. ذلك أن يوم القيامة واسع الزمان وهنالك مواطن لا يسأل فيها المجرمون عن ذنوبهم.

ففي هذه الآية ورد هناك تقديم شبه الجملة (عن ذنبه) على نائب الفاعل (إنس ولا جان) والغرض البلاغي من هذا التقديم هو تقوية الحكم وتقريره، وتوبيخ المذنبين الذين أذنبوا في الحياة فلا يحق لهم السؤال يوم القيامة والله أعلى وأعلم.

14- قال تعالى:﴿ هَـٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (الرحمن/43) .

يخاطب الله عز وجل في هذه الآية المجرمين « أي هذه النار التي كنتم تكذبون بوجودها، هاهي حاضرة تشاهدونها عيانا، يقال لهم ذلك تفزيعا وتوبيخا وتحقيرا»[2] ، فالله تعالى يجازي هؤلاء المجرمين بما كذبوا من آيات بينات، فيكونوا محل تصغير وتحقير. فهنا تم تقديم شبه الجملة (بها) على الفاعل (المجرمون).

(هذه جهنم) مبتدأ وخبره، (التي) صفة لجهنم، (يكذب) مضارع (بها) متعلقان بالفعل، (المجرمون) فاعل مرفوع بالواو.

والغرض البلاغي هنا من تقديم شبه الجملة على الفاعل هو التوبيخ والتحفيز لهؤلاء المجرمين وتصغيرهم جزاء تكذيبهم.

15- قال تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (الرحمن/46).

[1]- عبد الرحمان بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمان، ص 831.
[2]- ابن كثير، مختصر تفسير ابن كثير، ص 421.

في هذه الآية يخبرنا الله عز وجل عن جزاء المؤمنين « واللام في "لمن خاف" لام الملك، أي يعطي من خاف ربه ويملك جنتين، ولا شبهة في أن من خاف مقام ربه جنس الخائفين لا خائف معين فهو من صيغ العموم البدلي بمنزلة قولك: وللخائف مقام ربه، وعليه فيجيء النظر في تأويل تثنية "جنتان" فيجوز أن يكون المراد: جنسين من الجنات»[1].

ذكر الله عز وجل أن من عمل صالحا وخاف مقامه كان جزاءه الجنتان فنلمح من هذه الآية أن هاتين الجنتين لفريق من المؤمنين ذو مرتبة عالية.

ورد في هذه الآية الكريمة الخبر وهو شبه الجملة (لمن خاف مقام ربه) على المبتدأ (جنتان) وجوبا، وقد تم تقديم شبه الجملة على المبتدأ لغرض التركيز على اتباع الطريق المستقيم والخوف من الاقتراب مما نهى الله عنه وهذا بطبيعة الحال ما يؤدي إلى الجنتين.

16- قال تعالى:﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ۝ ﴾ (الرحمن/50).

يخبرنا الله عز وجل في هذه الآية عن الجنتين وما تحتويان عليه « يقول تعالى ذكره: في هاتين الجنتين عينا ماء تجريان خلالهما، فبأي آلاء ربكما تكذبان»[2]، ففي هذه الجنتين ماء عذب يجري كما وصف لنا المولى عز وجل، وهذا من النعم العظيمة التي يجزي بها الله عباده الصالحين.

في الآية الكريمة ورد هناك تقديم للخبر وهو شبه الجملة (فيهما) على المبتدأ (عينان) جوازا، والجملة الفعلية (تجريان) نعت للمبتدأ (عينان).

وكما نرى في كل مرة فقد كان التركيز الأكبر على الجنتين وما فيهما من نعم عظيمة والغرض البلاغي من هذا التقديم هو التشويق لما في هاتين الجنتين من خيرات فسبحان الله العظيم.

[1]- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 27، ص 264.
[2]- الطبري، تفسير الطبري، ص 190.

17- قال تعالى:﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ۝٥٢ ﴾ (الرحمن/52) .

كذلك الله عز وجل هنا يذكر لنا ما في الجنة من فواكه «أي فيهما من جميع أنواع الفواكه والثمار صنفان: معروف، وغريب لم يعرفوه في الدنيا قال ابن عباس: ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة إلا وهي في الجنة حتى الحنظل، إلا أنه حلو، وليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء»[1].

أي أن فواكه الجنة منوعة، كثيرة ووفيرة، بل وربما يكون هناك فواكه أخرى ليس لها نظير في الدنيا.

ورد في الآية الكريمة تقديم وتأخير، ف (فيهما) خبر مقدم و (من كل فاكهة) حال لأنه كان في الأصل صفة ل (زوجان) وتقدم و (زوجان) مبتدأ مؤخر وجوبا.

هنا كذلك كان الغرض من هذا التقديم والتأخير التشويق، فالمخاطب هنا وهو الانسان تتشوق نفسه وفؤاده لمعرفة ما في الجنة من خيرات ونعمات.

18- قال تعالى: ﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ۝٥٦ ﴾ (الرحمن/56).

كذلك يعدد الله النعم الموجودة في الجنة، ويعني بـ (فيهن) « أي: في الفرش "قاصرات الطرف" أي غضيضات من غير أزواجهن فلا يرين شيئا أحسن في الجنة من أزواجهن»[2]،وقد اختلف المفسرون حول مفهوم قاصرات الطرف فكانت هناك عدة أوجه في هذا الموضوع، وأما تفسير قوله تعالى:﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴾ « أي: بل هن أبكار عرب أتراب، لم يطأهن أحد قبل أزواجهن من الانسان والجن، وهذه أيضا من الأدلة على دخول مؤمني الجن الجنة »[3].

ففي الآية حديث عن ما هو موجود في الجنة وذكر قاصرات الطرف وما يميزهن.

- في هذه الآية الكريمة ورد تقديم الخبر والذي هو شبه الجملة (فيهن) على المبتدأ (قاصرات الطرف) جوازا.

[1]- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، 281/3.
[2]- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص 1801.
[3]- المرجع نفسه، ص نفسها.

- وكالعادة سبب التقديم والتأخير أو الغرض البلاغي منه هو التشويق لما في هذه الجنة من نعم عظيمة تنتظر المؤمن فالحمد لله.

19- قال تعالى:﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ ﴾ (الرحمن/62) .

«أي: من دون الجنتين السابقتين، وأقل منهما في المنزلة جنتان أخريان، ذلك لأن الجنة منازل ودرجات بحسب الأعمال والإخلاص فيها لله تعالى، وسيأتي في سورة الواقعة بيان لهذه المنازل، فالجنتان السابقتان بكل هذا النعيم هي درجة المقربين، ومن دونهما، وأقل منهما جنتان لأهل اليمين»[1].

ومعنى ذلك أن هاتين الجنتين أوصافهما أقل درجة من الجنتين السابقتين.

في هذه الآية ورد تقديم شبه الجملة وهو الخبر (من دونهما) على المبتدأ (جنتان) وجوبا.

والغرض البلاغي من هذا التقديم والتأخير في الآية الكريمة هو الترغيب في السعي لنيل الجنات بطاعة الله والعمل الصالح.

20- قال تعالى: ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ ﴾ (الرحمن/66) .

كذلك تابع الله سبحانه وتعالى وصفه للجنة، « و"نضاختان": فوارتان بالماء، والنضخ بخاء معجمة في آخره أقوى من النضح بالحاء المهملة الذي هو الرش، وقد وصف العينان هنا بغير ما وصف به العينان في الجنتين المذكورتين، فقيل: هما صنفان مختلفان في أوصاف الحسن يشير اختلافهما إلى أن هاتين الجنتين دون الأولين في المحاسن...»[2]،فهنا يصف الله الجنة وما تحتويه من مظاهر قدرة وعظمة خلقه فسبحانه جل وعلا.

ففي الآية الكريمة تقدم الخبر وهو شبه الجملة جار ومجرور (فيهما) على المبتدأ (عينان) جوازا، ونضاختان هي صفة للمبتدأ.

21- قال تعالى: ﴿ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ (الرحمن/68) .

[1]- محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، ص 14840.
[2]- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج27، ص 272.

«أي في الجنتين من أنواع الفواكه كلها وأنواع النخل والرمان، وإنما ذكر النخل والرمان تنبيها على فضلهما وشرفهما على سائر الفواكه ولأنهما غالب فاكهة العرب...» [1]،

وصف لنا الله تعالى في هذه الآية الكريمة ما تحتوي عليه الجنة من خيرات ونعم وذكر منها الفواكه على سبيل التعميم وخص منها النخل والرمان.

في هذه الآية ورد تقديم لشبه الجملة الجار والمجرور (فيهما) على المبتدأ (فاكهة) وجوبا.

كذلك نجد في هذه الآية تقديم الفاكهة على النخل والرمان وهذا التقديم لغرض بلاغي يتمثل في إفادة التعميم ثم التخصيص وهذا التخصيص للنخل والرمان يدل على فضلهما على باقي الفواكه الأخرى، ومنافعهما الكبيرة.

22- قال تعالى: ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ (الرحمن/70) .

فهنا « وصف أيضا لنساء الجنة فهن خيرات قالوا في الأخلاق والشيم، وحسان الوجوه والمنظر» [2].

فيصف الله عز وجل هنا الخيرات الحسان الموجودة في الجنة، فحسب ما ورد في التفسير فهن جميلات في خلقهن وفي شكلهن كذلك .

ورد في هذه الآية الكريمة تقديم الخبر عن المبتدأ، فتقدم الخبر وهو شبه الجملة (فيهن) على المبتدأ (خيرات) جوازا.

وكان هذا التقديم لغرض التشويق والترغيب لما في الجنة من نعم عظيمة .

ومما سبق نستنتج أن التقديم والتأخير في القرآن له دلالات وأغراض بلاغية كثيرة، لذلك أمر الله سبحانه وتعالى في التدبر فيه لفهمه فهما صحيحا، كما أن الاختلاف في التفاسير هو بمثابة اجتهاد، فكل عالم دين يبذل جهدا للتعمق في القرآن الكريم وفهمه، ولا إشكال في اختلاف آراء المفسرين طالما التفسير يخدم الدين الاسلامي وهذا الاختلاف وارد فمثلا « عناية الإمام الجصاص باللغة

[1]- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص 283/3.
[2]- محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، ص 14841.

والنحو والصرف والإعراب وغير ذلك من قضايا اللغة كانت بقدر محدود، أي بالقدر الذي يخدم الغرض الرئيسي الذي توخاه في تفسيره، وهو استنباط الأحكام والمسائل الفقهية من نصوص القرآن الكريم، ثم عرض أدلتها ومناقشتها مع الترجيح بينها»[1].

فاختلاف التفاسير أمر وارد، ولكل من علماء الدين وأئمته اجتهادات يجب أن تحترم طالما تخدم هذا الدين العظيم، والحمد له رب العالمين.

ثالثا– ملخص لمواضع التقديم والتأخير الواردة في سورة الرحمن:

ترتيب الآية	الآية	رقم الآية	نوع التقديم وشرحه
1	الرحمن، علم القرآن، خلق الإنسان	1-3	تقديم القرآن وتعليمه على خلق الإنسان.
2	والنجم والشجر يسجدان	6	تقديم المسند إليه (النجم والشجر) على المسند (يسجدان)
3	والسماء رفعها	7	تقديم المفعول به (الأرض) على الفعل (وضع) والفاعل (هو)
4	فيها فاكهة	11	تقديم الخبر شبه الجملة (فيها) على المبتدأ (فاكهة) وجوبا
5	فبأي آلاء ربكما تكذبان	13	تديم شبه الجملة (فيها) على المبتدأ (فاكهة) وجوبا.
6	بينهما برزخ لا يبغيان	20	تقديم الخبر شبه الجملة (بينهما) على المبتدأ (برزخ) وجوبا
7	يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان	22	تقديم شبه الجملة (منهما) على الفاعل (اللؤلؤ والمرجان) جوازا.
8	وله الجوار المنشآت في البحر	24	تقديم الخبر شبه الجملة (له) على المبتدأ (الجوار) جوازا
9	كل يوم هو في شأن	29	تقديم ظرف الزمان (كل يوم) على الجملة الاسمية (هو في شأن)

[1]- صفوت مصطفى خليلوفيتش، الامام ابو بكر الرازي الجصاص ومنهجه في التفسيير، دار السلام ، القاهرة، مصر ، ط2، 1429 هـ ، 2008م ، ص319.

10	يرسل عليكما شواظ	35	تقديم شبه الجملة (عليكما) على نائب الفاعل (شواظ).
11	لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان	39	تقديم شبه الجملة (عن ذنبه) على نائب الفاعل (إنس ولا جان)
12	يكذب بها المجرمون	42	تقديم شبه الجملة (بها) على الفاعل (المجرمون)
13	ولمن خاف مقام ربه جنتان	46	تقديم الخبر شبه الجملة (لمن خاف مقام ربه) على المبتدأ (جنتان) وجوبا.
14	فيهما عينان تجريان	50	تقديم الخبر شبه الجملة (فيهما) على المبتدأ (عينان) جوازا.
15	فيهما من كل فاكهة زوجان	52	تقديم الخبر شه الجملة (فيهما) على المبتدأ (زوجان) وجوبا.
16	فيهن قاصرات الطرف	56	تقديم الخبر شبه الجملة (من دونهما) على المبتدأ (جنتان) وجوبا.
17	ومن دونهما جنتان	62	تقديم الخبر شبه الجملة (من دونهما) على المبتدأ (جنتان) وجوبا.
18	فيهما عينان نضاختان	66	تقديم الخبر شبه الجملة (فيهما) على المبتدأ (عينان) جوازا.
19	فيهما عينان نضاختان	68	تقديم الخبر شبه الجملة (فيهما) على المبتدأ (عينان) جوازا.
20	فيهن خيرات حسان	70	تقديم الخبر شبه الجملة (فيهن) على المبتدأ (خيرات) جوازا.

.

خاتمة

خاتمة:

في الختام توصلنا من خلال هذا البحث إلى حوصلة من النتائج حول ظاهرة التقديم والتأخير في سورة الرحمان، نبرز أهمها في ما يلي:

- "التقديم والتأخير" أسلوب بلاغي يكمن في الخروج عن النمط المألوف وذلك بتحريك الكلمات والألفاظ من أماكنها الأصلية إلى أماكن أخرى وفي الوقت نفسه خروج عن المعنى الأصلي إلى معان أخرى.
- ظاهرة "التقديم والتأخير" من أهم خصائص اللغة العربية التي تدل على مرونتها وطواعيتها، وفهمها يؤدي دورا كبيرا في فهم وتوضيح مقاصد الآيات القرآنية.
- للتقديم والتأخير أغراض بلاغية عدة، منها إفادة الاختصاص وما يفيد العناية والاهتمام، التشويق، التحذير...
- ظاهرة "التقديم والتأخير" تبين لنا أن القرآن الكريم كلام معجز ولا يكمن هذا الإعجاز بمعانيه فقد بل بترتيب كلماته فلا يمكن بأي حال أن تحل كلمة مكان كلمة أخرى، فهناك دقة معجزة في ترتيب الكلمات، وهذا الترتيب يكشف الستار عن مكامن الإبداع في كلام الله.
- يعد القرآن الكريم حقلا خصبا ومهما في دراسة هذه الظاهرة، فمن خلاله استطاعت –ظاهرة التقديم والتأخير– أن تخاطب العقل وتحرك الوجدان ليرتقي السامع بتدبره وتفكيره إلى فهم كلام المولى سبحانه وتعالى.
- ظاهرة "التقديم والتأخير" مبحث مشترك بين علمي النحو والمعاني، وبالتالي ففكرة دمج الدراسة النحوية بالدراسة البلاغية الدلالية من أنجع الوسائل البلاغية الدلالية من أنجع الوسائل لمعرفة مقاصد الكلم وما يخبئه من مكنونات.
- تبين لنا أن سورة الرحمن سورة مكية بالرغم عن ما قيل عن مدنيتها، وذلك من خلال أسلوبها وموضوعاتها المتعددة.

- تميزت سورة الرحمن كباقي السور بخصائص امتازت بها عن غيرها وخاصة في مجال التقديم والتأخير، حيث إن السورة جاءت تأكيدا لأصول العقيدة الإسلامية وترسيخها وتثبيتها في نفوس المسلمين، كما ركزت على مشاهد البعث والجزاء ومشاهد العقاب والثواب.
- نشأة علوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة ونقد إنما نشأت من مصدر واحد ووحيد ألا وهو القرآن الكريم المعجزة الربانية الخالدة.
- وفي الأخير نحمد الله ونشكره على توفيقه لنا لإنجاز هذا البحث ونرجو من الله أن ينفعنا وينفع به غيرنا ويعفو عنا، لأن ما كان فيه من خطأ وسهو فمن الشيطان الرجيم، وما كان فيه من توفيق وإجادة وإحسان فمن الرحمان الرحيم.

ونحن على يقين أساتذتنا الكرام أننا سنجد في ملاحظاتكم وتوجيهاتكم السديدة ما نصحح به أخطاءنا ونتخذه زادا لمسيرتنا العلمية التي مازالت في أطوارها الأولى، سائلين المولى أن يغفر لنا إذ تعاملنا مع كتابه العزيز وأن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وينفعنا به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم وصَل اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم: برواية حفص عن عاصم.

أولا: قائمة المصادر التفسيرية:

1.أبي الفداء اسماعيل بن كثير، مختصر تفسير ابن كثير، تح: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، ط7، 1402هـ، 1981م.

2.سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1972م، مج 6.

3.الطبري، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: بشار عواد معروف وعصام فارس الحرشاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1994م، مج 7.

4.عبد الرحمان بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمان بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 1423هـ، 2002م.

5فخر الدين الرّازي، التّفسير الكبير، دار إحياءالتّراث، بيروت، ط3، 1999م، ج20.

6.محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، دط، 1984م، ج 27.

7.محمد بن صالح العثيمين، تفسير القرآن الكريم، دار الثريا للنشر، المملكة العربية السعودية، ط1، 1425هـ، 2004م.

8.محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار الصابوني للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1417هـ، 1997م.

9.محمد علي طه الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط1، 1430هـ، 2009م، مج 9.

10. محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، أخبار اليوم، دط، 1991م، ج1.

11. محمود الألوسي أبي الفضل شهاب الدين، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ، 1994م، مج1.

قائمة المصادر والمراجع:

1. إبراهيم أنيس، من أسرار العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 1966م.

2. إبراهيم عوض، سورة الرحمن دراسة بلاغية وأسلوبية، المكتبة الدينية، فلسطين، دط، د س.

3. إبراهيم مصطفى وآخرون، معجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، إسطنبول، د.ط، د.س، ج1.
4. ابن الأثير، المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر، تح: محمد محيي الّدين عبد الحميد، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، د.ط، 1939م، ج2.
5. ابن القيم الجوزية، بدائع الفوائد، تح: علي بن محمد العمران، دار علم الفوائد، ط2، 1427هـ، ج1.
6. ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، تح: محمد توفيق النيفر، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1997م.
7. ابن عبد الله شعيب أحمد، بحوث منهجية في علوم البلاغة، ابن خلدون للنشر والتّوزيع، د.ط، د.س.
8. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة والّنشر والتوزيع، بيروت، د.ط، 1997م.
9. أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تح: محمد علي الّنجار، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، د.ط، د.س، ج2.
10. أبو بشير سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، االقاهرة، ط3، 1988م، ج1.
11. أحمد مختار عمر وآخرون، التّدريبات اللغوية والقواعد الّنحويّة، جامعة الكويت، الكويت، ط2، 1999م.
12. أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تح: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، د.س.
13. أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربّية المعاصر، عالم الكتب للّنشر والتّوزيع، ط1، 1429هـ، 2008م.
14. أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط3، 1993م،
15. أمين أبو ليل، علوم البلاغة، المعاني، البيان والبديع، دار البركة، عمان، الأردن، ط1، 2006م.

16. بدر الّدين الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، د.س، ج3.
17. بهاء الّدين بن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط16، 1974م، ج2.
18. تمام حسان، اللغة العربية مبناها ومعناها، دار الثقافة، المغرب، د.ط، 1994م.
19. جار الله أبو القاسم أحمد الزمخشري، أساس البلاغةَ، تح: محمد باسل غيون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2001م، مج2.
20. جعفر دك الباب، الموجز في شرح دلائل الإعجاز في علم المعاني، مطبعة الجليل، دمشق، ط1، د.س.
21. جلال الّدين السّيوطّي، الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، 1407هـ، 1987م، ج3.
22. جلال الّدين السّيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تح: أحمد شمس الّدين، دار الكتب العلمّية، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ، ج1.
23. جلال الدين السيوطي، همع الهوامع، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م، ج2.
22. الّراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تح: عدنان دوادي، دار القلم، دمشق، ط4، 1430هـ-2009م.
24. رضي الدين بن محمد الأستربادي، شرح الكافية في الّنحو، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، 1985م، ج1.
25. زهير بن أبي سلمى، ديوان زهير بن أبي سلمى، دار صادر، بيروت، د.ط، 1964م
26. سامح عبد العزيز الرواشدة، جماليات التعبير في القرآن الكريم، دار صايل للنشر، ط1، 2013م.
27. سعيد الأفغاني، الموجز في قواعد اللغة العربية، دار الفكر، القاهرة، د.ط، د.س.
28. سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1972م، مج 6.
29. شعبان عبد العاطي عطية وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004م.

30. صفوت مصطفى خليلوفيتش، الامام ابو بكر الرازي الجصاص ومنهجه في التفسير، دار السلام ، القاهرة، مصر ، ط2، 1429 هـ ، 2008م .
31. صلاح فضل، علم الأسلوب ومبادئه وإجراءاته، دار الشّروق، القاهرة، د.ط، 1998م.
32. عاطف فضل، مقدمة في اللسانيات، دار الميسرة، عمان، ط1، 2011م.
33. عباس حسن، الّنحو الوافي، دار العلوم، القاهرة، ط3، 1974م، ج2.
34. عبد الرحمن حاج صالح، البنى الشّعريّة العربّية، منشورات المجمع الجزائري، د.ط، 2015م.
35. عبد السّلام المسدي، الأسلوبّية والأسلوب، الّدا ر العربّية للكتاب، ط1، د.س.
36. عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، علم المعاني، البيان، البديع، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط، د.س.
37. عبد القاهر الجرجاني، المقتصد في شرح الإيضاح، تح: كاظم بحر المرجان، دار الرشيد للّنشر، د.ط. د.س.
38. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1978م.
39. عبد الله يحيى الشّعبّي، شرح شواهد الكواكب الّدريـّة، دار الكتب العلمّية، بيروت، لبنان، د.ط، د.س، ج1.
40. عبد الهادي الفضلي، مختصر الّنحو، دار الشّروق، جدة، ط7، 1980م.

41.عطية مختار، التّقديم والتأخير ومباحث التّراكيب بين البلاغة والأسلوبّية، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، 2003م.
42.علي أبو القاسم، بلاغة التّقديم والتأخير في القرآن الكريم، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2006م، ج2.

43. علي أبو المكارم، الجملة الفعلية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2007م.

44. علي بن محمد الأشموني، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1955م، ج1.
45. غادة أحمد البواب، التّقديم والتأخير في المثل العربي، وزارة الثقافة، عمان دط، 2011م.
46. فاضل صالح السامرائي، التّعبير القرآنّي، دار عمار، عمان، الأردن، ط8، 1434هـ، 2012م.
47. فتيحة كحلوش، بلاغة المكان قراءة في مكانية النّص الشّعريّ، دار الانتشار العربّي، بيروت، لبنان، د.ط، 2008م.
48. محمد أحمد بن طباطبا العلوي، عيار الشّعر، تح: عباس عبد السّائر، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1982م.
49. محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، دط، 1984م، ج 27.
50. محمد بن يزيد المبرد، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، جمهورية مصر العربية، القاهرة، ط2، 1979م، ج4.
51. محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبّية، دار نوبار للطباعة مكتبة لبنان ناشرون، القاهرة، ط1، 1994م.
52. محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف، تح: مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربّي، بيروت، لبنان، د.ط، 1406هـ-1986م، ج1.
53مختار عطية، التّقديم والتّأخير ومباحث التّراكيب بين البلاغة والأسلوبّية، المكتبة العصرّية، بيروت، د.ط، 2003م.
54. منير محمود المسيري، دلالات التّقديم والتأخير في القرآن الكريم، تقديم عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 2005م.
55. نور الّدين السّد، الأسلوبّية وتحليل الخطاب دراسة في الّنقد العربّي الحديث (تحليل الخطاب الشّعريّ والسّرديّ)، دار هومة، بوزريعة، الجزائر، د.ط، د.س، ج2.
56. وهبة بن مصطفى الزحيلي ، التفسير الوسيط ، دار الفكر ، دمشق، ط1، 1442 هـ ، ج3 .

57. يحيى العلوي، الطراز، مكتبة المعارف، الّرياض، بيروت، لبنان، د.ط، 1400هـ، 1980م، ج2.

58. عمر عرفات، دلالة أسماء السور القرآنية على موضوعاتها ومحاورها، مؤسسة الرسالة، دمشق، سوريا، ط1، د.س.

59. منيرة الدوسري، أسماء سور القرآن وفضائلها، دار ابن الجوزي، السعودية، ط1، دس.

60. يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية علم المعاني –علم البيان– علم البديع، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط1، 2007م.

61. يوسف بن أبي السكاكي، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 1983م.

المجلات

62. أحمد محمد ويس، الانزياح وتعدد المصطلح، مجلة عالم الفكر، 03 جانفي– مارس، مج25، ع3.

63. عبد الرحيم عزاب، بنية الإيقاع في الخطاب القرآني، جماليات القدّيم والتّأخير أنموذجا، مقاربة أسلوبّية، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة جيجل، منشورات جامعة جيجل، مجلة النص، الجزائر، العدد08، 2008م.